جامعة الأزهر
كلية الدعوة الإسلامية
القاهرة

دليل الهداة

دراسة تمهيدية حول الدعوة و الدعاة

المؤلف
أ.د/ طلعت محمد عفيفي سالم
عميد كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعة الأزهر

كلية الدعوة الإسلامية
القاهـــــرة

دليل الهداة

دراسة تمهيدية حول الدعوة والدعاة

المؤلف

أ.د / طلعت محمد عفيفي سالم

عميد كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

قل هذه سبيلي أدعو إلي الله على بصيرة أنا ومن اتبعني

قرآن كريم

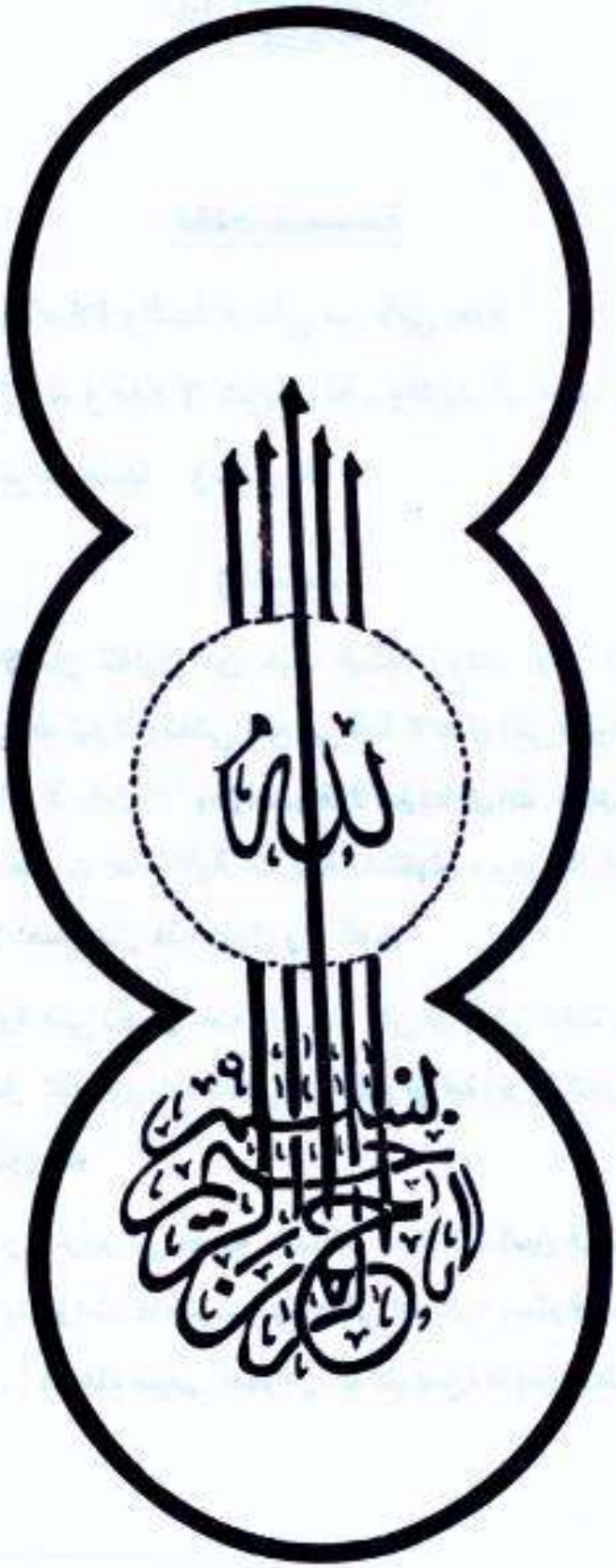
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لانبى بعده ..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، شهادة نحيا بها ، ونموت عليها ، ونلقى الله بها .

وبعـــد :

فإن أعمال الإنسان تتفاوت من حيث قيمتها ، وقدر الأجر الذى يحصله من ورائها. والدعوة إلى الله تبارك وتعالى تقع فى قمة الأعمال التى يتقرب المرء بها إلى الله تعالى ، وصدق الله إذ يقول : " **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله ، وعمل صالحاً ، وقال إننى من المسلمين** " (١) فقد صدّرت هذه الآية الكريمة باستفهام ، وهوهنا يفيد النفى، فيكون المعنى على هذا : لا أحسن من هذا العمل ولا أفضل.

و لأجل الدعوة التى تحملها أمة الإسلام إلى كل البشر كانت خير أمة أخرجت للناس ، وهو ما أشار إليه قول الله تعالى: " **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** " (٢)

ويشير القرآن الكريم إلى أهمية مشاركة جميع المسلمين فى تحمل مسئوليتهم فى هذا الجانب وأن يكونوا شركاء لرسولهم صلى الله عليه وسلم فى دلالة الناس على الخير ، فقال تعالى : " **قل هذه سبيلى ، أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله وما أنا من المشركين** " (٣)

---

(١) سورة فصلت - الآية (٣٣)
(٢) سورة آل عمران - الآية (١١٠)
(٣) سورة يوسف - الآية (١٠٨)

ولذن كان من الواجب أن يتحمل كل إنسان مسلم مسئوليته فى هذا الجانب ، فإن العبء الأكبر يقع على عاتق طلاب العلم ، الذين مكنتهم ظروفهم من الدراسة والتحصيل . فتبقى فى أعناقهم أمانة تعليم الآخرين ما يسّره الله لهم ، وفى هذا يقول رب العزة : " **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** "(١)

وحتى يتهيأ لطلاب العلم الإلمام بأهم المسائل المتعلقة بالدعوة ، ولكى تكون دعوتهم على بصيرة ، أقدم هذه الدروس ، والتى تحتوى على أهم المسائل المتعلقة بالدعوة والداعية ، وقد راعيت فيها بساطة الأسلوب ، والجمع بينه وبين التطبيق العلمى – **ما أمكن** – من سيرة سلف الأمة الصالح **من الدعاة إلى الله على بينة وبصيرة**

وقد قسمت الدراسة **إلى ثلاثة فصول** . بحيث يخصص الأول منهم **للحديث عن الدعوة** ، والثانى للحديث **عن الداعية** ، والثالث للحديث **عن المدعوين** ، وتحت كل فصل منهم تقع عدة مباحث .

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا جميعا لفعل الخير وإذاعة الخير ..

إنه ولى ذلك والقادر عليه ،،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،

---

(١) سورة التوبة – الآية (١٢٢)

الفصل الأول

[الدعوة ومايتعلق بها من مسائل وأحكام]

* ويشتمل علي المباحث التالية :-

(١) تعريف الدعوة.

(٢) الدعوة بين الوجوب والندب.

(٣) من المكلف بالدعوة ؟

(٤) أهداف الدعوة وأهميتها.

(٥) فضل القيام بالدعوة.

(٦) العلاقة بين الدعوة والحسبة.

(٧) وسائل وأساليب الدعوة .

(٨) عوامل نجاح الدعوة

المبحث الأول

تعريف الدعـــــوة

تطلق كلمة الدعوة فى اللغة ، ويراد بها الطلب.

يقال : دعا إلى الشيء حثه على قصده ، ودعا إلى الدين حثه على اعتقاده وساقه إليه ، وهكذا فى قولنا : **دعاه إلى الصلاة ، ودعاه إلى الإحسان** ...الخ [١]

وأما فى الاصطلاح فقد تعددت أقوال العلماء فى تعريفها ، ومن أحسن ما قيل فى تعريفها إنها – **أى الدعوة** – : تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه فى واقع الحياة [٢]

وقد احتوى هذا التعريف على كافة الأنشطة الدعوية ، فبدأ بمسألة عرض الإسلام على الآخرين ، فإن استجابوا أطلعناهم على تعاليمه ، ويأتى بعد ذلك دور المتابعة لتطبيق تعاليم الإسلام واقعيا بعد أن عرفها الناس نظريا.

فإن قال قائل : كيف يستقيم هذا التعريف مع ما تصرح به الآيات فى كثير من المواضع من أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم هى البلاغ فقط ، بدليل أسلوب الحصر المستعمل فى نحو قوله تعالى : " **وما على الرسول إلا البلاغ المبين** " [٣]

ويجاب عن هذا الاعتراض بأن الآية المذكورة وأمثالها إنما يرد فى سياق إعراض الناس عن الدعوة ، فحيث يعرض المدعوون عن الدعوة لا يكلف الرسول بغير التبليغ فقط ، أما حين يستجيب الناس للدعوة فإن من الواجب حينئذ تعليمهم أمر دينهم ، والسعى لتطبيقه فى واقعهم ، وهو ما كان يفعله النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد كان يتخول أصحابه بالموعظة ، كما كان يتعهدهم ، فيسأل عن غائبهم ، ويعود مريضهم ، ويطمئن على تطبيقهم لتعاليم الإسلام .

---

(١) انظر المعجم الوسيط – مادة : دعا ، ٢٨٦/١

(٢) المدخل الى علم الدعوة (ص١٧) محمد أبو الفتح البيانونى

(٣) سورة النور – الآية (٥٤)

فيسأل : " **من عاد منكم اليوم مريضاً؟ من شيع منكم اليوم جنازة ؟ من تصدق اليوم منكم على مسكين ؟ ..الخ** " (١)

وإن نظرة متأنية إلى سياق هذه الآية الكريمة وأمثالها يوقفنا على هذه الحقيقة..

فالله تعالى يقول : " **فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين** ... " (٢)

ويقول سبحانه : " **فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين** ..." (٣)

وهكذا في سائر الآيات (٤)

هذا ، وتطلق كلمة الدعوة أحياناً ، ويراد بها الإسلام كله ، وذلك في نحو قوله تعالى : (**له دعوة الحق**) (٥).

لكن لفظ الدعوة إذا أطلق ينصرف إلى المعنى الأول الذي أشرنا إليه سلفا ، وهو الذي جاء به القرآن الكريم ، ودلت عليه أحاديث البشير النذير ﷺ .

---

(١) صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (ج٤ ، ص١٨٥٧)

(٢) سورة النحل - الآية٨٢ .

(٣) سورة المائدة - الآية ٩٢.

(٤) انظر : "المدخل إلى علم الدعوة" . الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني.

(٥) سورة الرعد - الآية ١٤.

المبحث الثاني

الدعوة بين الوجوب والندب

يدل ظاهر النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأقوال السلف الصالح من علماء الأمة على وجوب الدعوة إلى الله تعالى ، وضرورة القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

- **وفيما يلى نتعرف على بعض هذه الأدلة ، ونبدأها بأدلة القرآن الكريم.**

(١) يقول الله تعالى : " **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** " . [١]

فقوله (**ولتكن**) فعل مضارع مقترن بلام الأمر ، وهى صيغة من صيغ الوجوب.

(٢) قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (**وادع إلى ربك**) [٢] وقوله له: - " **أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن** " [٣]

والأمر هنا للوجوب ، والقاعدة أن كل تكليف للرسول ﷺ هو تكليف لأمته ، ما لم يرد نص يفيد خصوصية النبى ﷺ دون سواه، وليس هنا شيء يفيد تلك الخصوصية ، فيبقى الأمر على وجوبه لعموم المسلمين فى كل زمان ومكان.

(٣) ويستدل أيضا على وجوب الدعوة إلى الله تعالى بقوله عز من قائل : " **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم ، وأنا التواب الرحيم** " [٤].

---

(١) سورة ال عمران - الآية (١٠٤) .
(٢) سورة القصص- الآية (٨٧)
(٣) سورة النحل - الآية(١٢٥)
(٤) سورة البقرة -الايتان (١٥٩-١٦٠)

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على تهديد ووعيد لمن تمكن من معرفة شئ من الحق ، ثم اتصف بالسكوت حيال ما يراه من منكر يشيع أو معروف يضيع ، وأن المخرج الوحيد للمرء من استحقاق اللعن أن يبادر بالتوبة والإصلاح والبيان لكلمة الحق ، والدعوة إلى ما فيه مرضاة رب العالمين.

* **وأما ما يدل على وجوب الدعوة إلى الله تعالى من السنة فكثير ، ونختار منها ما يلى:**

(١) قولـــه صلى الله عليه وسلم : "**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطـــع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان**" .[١]

ووجه الدلالة على وجوب الدعوة من هذا الحديث أن لفظة (من) من ألفاظ العموم ، ويشمل هذا اللفظ كل مسلم ومسلمة ، إذ فى إمكان أى أحد أن يواجه المنكر بإحدى الوسائل المشار إليها فى الحديث ، فإذا لم يتحرك المسلم ليغير ما يراه من منكر – ولو بالقلب [٢] ، فقد لزمه الإثم وانتفت عنه صفة المؤمن الكامل .

وقد جاء فى إحدى روايات هذا الحديث عند الإمام مسلم : " **فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**"

---

(١) أخرجه مسلم (ج١ – ص ٦٩) كتاب الإيمان – باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان ..... الخ

(٢) ليس الإنكار بالقلب – كما يتخيل البعض – عملا سلبياً يحمل الشخص على عدم الرضا مع مشاركته للعاصين ، وإلا ما رتب عليه النبى صلى الله عليه وسلم إمكانية التغيير به فى الفعل ، بل هو قيمة إيجابية تتمثل فى مقاطعة العصاة ومجالسهم ، وإعلان عدم الرضا بصورة عملية ، ولو أن كل شخص فعل ذلك مع العصاة لفضحت مسالكهم ، وحملهم ذلك على تغيير تصرفهم حتى لا يفقدوا أبناء المجتمع كله إذا وجدوا أن الجميع قاطعهم.

(٢) دعوته صلى الله عليه وسلم لأصحابه فى حجة الوداع " بأن يبلغوا دعوة الله إلى من سواهم ، فكان فيما قال: " **ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب** " [١]

ونظير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " **بلغوا عنى ولو آية** ". [٢]

والأمر يقتضى الوجوب ، وعدم تحديد فئة معينة بهذا الأمر يقتضى العموم.

(٣) وكما نبه القرآن الكريم المسلمين إلى ضرورة القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعدم التهاون فى هذا الجانب حتى لا تنالهم اللعنة ، ورد أيضاً فى الحديث ما يؤكد على هذا المعنى ، حيث ورد أن الرجل كان يلقى أخاه من بنى إسرائيل على المعصية فيقول : يا هذا ، اتق الله ودع ما تصنع فإن هذا لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله و شريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، وفى هذا يقول ربنا :

" **لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبس ما كانوا يفعلون. ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون** " [٣]

ثم قال صلى الله عليه وسلم: " **كلا والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطراً ، ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم** " [٤]

---

(١) اخرجه البخارى (ج١ - ص٤٠) كتاب العلم - باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب
(٢) اخرجه البخارى (ج٤ - ص١٧٥) كتاب احاديث الأنبياء - باب ما ذكر عن بنى إسرائيل
(٣) سورة المائدة - الآيات (٧٨ - ٨١) .
(٤) اخرجه ابو داود فى سننه - كتاب الملاحم ، باب الامر والنهى (ج٤ - ص ١٢١ ، ١٢٢)

ومن أقوال السلف الصالح من علماء الأمة فى الدلالة على وجوب الدعوة إلى الله تعالى نختار هذه الأقوال.

يقول الإمام النووى رضى الله عنه : " **تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة** " (١)

ويقول الإمام أبو حامد الغزالى رحمة الله : " **إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين ، وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين جميعاً ، ولو طوى بساطه ، وأهمل علمه وعمله ، لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعمت الفتنة ، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد** ".(٢)

ويقول ابن العربى المالكى : " **الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أصل فى الدين ، وعمدة من أعمدة المسلمين ، وخلافة رب العالمين ، والمقصود الأكبر من بعث النبيين ، وهو فرض على جميع الناس : مثنى وفرادى بشرط القدرة عليه** " (٣).

ومما سبق عرضه من أدلة يتضح لنا أن الدعوة إلى الله تعالى ليست أمرا ثانوياً، أو عملاً تطوعيا ، بل هى من ألزم الفرائض وأهم الواجبات ، وهو ما أكد عليه علماء الأمة وفقهاؤها ، وقد ذكرنا أقوالهم فى هذا .

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم (ج٢ – ص٢٢)
(١) إحياء علوم الدين (ج٧- ص١١٨٦)
(٢) عارضة الاحوذى (ج٢ – ص١٣) . وانظر أيضا : تفسير القاسمى (ج٤ ص١٠٤)

المبحث الثالث

من المكلف بالدعـــــوة

للإجابة على هذا نعود إلى كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم.

ففى القرآن الكريم يقول رب العزة : " **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن تبعنى** ". (١)

والآية هنا صريحة فى أن الدعوة إلى الله تعالى هى سبيل نبينا ﷺ وسبيل كل من اتبعه فى أى زمان أو مكان ، وعلى هذا فالمكلفون بالدعوة هم جميع المسلمين دونما استثناء.

ونلمح هذا أيضا من خلال قوله تعالى : " **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ".(٢)

فقد نصت هذه الآية الكريمة على خيرية أمة الإسلام على ما سواها من الأمم ، وعللت ذلك بكونها أمة داعية إلى الخير، ناهية عن الشر ، مؤمنة بالله ، وزوال السبب يقتضى زوال المسبب ، بمعنى أن الأمة إذا لم تقم بهذا الواجب فلا خير فيها ، ولذا ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : " **من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها** ".(٣)

ومما يؤكد على عموم هذا التكليف حرص النبى ﷺ عند مبايعته لأصحابه أول عهدهم بالإسلام على ضرورة قيامهم بواجب الدعوة دون تخلف أو تأخير.

---

(١) سورة يوسف – الآية (١٠٨)
(٢) سورة آل عمران – الآية (١١٠)
(٣) تفسير ابن كثير . (ج١ – ص ٣٧٤)

فعن جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه قال: " **بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم** ".(١)

وإذا كان المسلم لا يمارى فى أهمية الصلاة أو الزكاة باعتبارهما ركنين من أركان الإسلام ، فإن العنصر الثالث فى هذه البيعة وهو النصح لكل مسلم لا يقل أهمية عنهما - **بل يزيد** - ، ودليل ذلك قوله ﷺ: " **الدين النصيحة** " **قيل يا رسول الله: لمن ؟ قال** : " **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** ".(٢)

ففى هذا القول النبوى ما يؤكد على سمو مكانة الدعوة فى هذا الدين حتى لكأنها الدين كله ، ونظير ذلك قول النبى ﷺ " **الحج عرفة** ".(٣)

فهو لا يلغى سائر الأركان ، وإنما يدل على أن أهمها وأعظمها الوقوف بعرفة ، وكذلك الأمر بالنسبة للدعوة والنصيحة فى دين الله .

فإن قيل إن الدعوة إلى الله تعالى يشترط لها العلم ، وهذا يفيد أن الدعوة فرض على سبيل الكفاية لا على سبيل العين ، بحيث لو قام بها البعض سقط الإثم عن الباقين.

ويجاب عن هذا بأن العلم ليس شيئا واحدا لا يتجزأ ، بل إن كل إنسان لديه قدر من العلم يقل أو يكثر (**وفوق كل ذى علم عليم**) (٤) وعليه فإن من علم مسألة من الدين - **وإن قلت** - صار عالما بها، وأصبح لزاما عليه تبليغها ، ويؤيد ذلك قوله ﷺ: " **بلغوا عنى ولو آية** ".(٥)

ونستخلص من هذا أن الدعوة إلى الله تعالى فرض على كل مسلم ومسلمة بالقدر الذى أتيح له من العلم ، أما أهل الذكر وأصحاب التخصص فيتميزون فى هذا المجال لابأصل التكليف ، وإنما بما يحتاج فى فهمه من مسائل الدين إلى فقه ومعرفة بالأحكام وغيرها.

---

(١) صحيح البخارى - كتاب الإيمان - باب قول النبى صلى الله عليه وسلم " الدين النصيحة " (ج١ - ص٢٢)
(٢) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان أن الدين النصيحة [ج١ - ص٧٤]
(٣) سنن أبى داود - كتاب المناسك - باب من لم يدرك عرفه (ج٢ - ص ١٩٦) ، وسنن الترمذى - كتاب الحج - باب ماجاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج (ج٣ - ص ٢٢٨)
(٤) سورة يوسف الآية (٧٦)
(٥) صحيح البخارى - كتاب أحاديث الأنبياء - باب ماذكر عن بنى إسرائيل (ج٢ - ص ٤٠٥)

المبحث الرابع

أهداف الدعوة وأهميتهـــا

تستهدف الدعوة - كما يتضح من نصوص القرآن الكريم، والسنة النبويـــة- **إسعاد الناس فى دنياهم وأخراهم.**

وفى هذا يقول رب العزة تبارك وتعالى :" **فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى** ".(١)

قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير هذه الآية : " **لا يضل فى الدنيا ، ولا يشقى فى الآخرة** ".(٢)

وقال تعالى فيمن يتبع منهاج رسوله صلى الله عليـــه وســـلم : "**وإن تطيعـوه تهتدوا** ".(٣)

وأورد البخارى فى صحيحه عن الصحابى الجليل عبد الله بـــن عمـــرو بـــن العاص رضى الله عنهما أنه قال فى حق النبى ﷺ : " والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : **يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى ،سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق** (٤) **ولا يـدفع بالـسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتح بها أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً** ".(٥)

وقد عبر عن هذه الغاية- **كذلك** - **الصحابى الجليل ربعى بن عامر** حـــين التقـــى برستم قائد الفرس، فقال له : " الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ...الخ." (٦)

---

(١) سورة طه - الآية (١٢٣)
(٢) تفسير ابن كثير (ج٣ - ص١٨٦)
(٣) سورة النور - الآية (٥٤)
(٤) سخاب فى الأسواق : السخب بالسين أو الصاد : رفع الصوت بالخصام ونحوه
(٥) أخرجه البخارى (ج٣ - ص٢٨) كتاب البيوع - باب كراهية السخب فى الأسواق .
(٦) البداية والنهاية (ج٧ - ص ١٩) الحافظ ابن كثير.

ومن هنا ندرك أهمية الحاجة إلى الدعوة الإسلامية تحقيقاً للأهداف التى ترجى من ورائها ، فهى مركب الإنقاذ فى عالم تتقاذفه الأمواج ، وهى المصباح الذى يستهدى به الحائرون فى واقع تكتنفه الظلمات، وهى الشفاء لجسد كثرت به العلل والداءات.

" وإذا كانت الدعوة الإسلامية تحمل فى طياتها هذه المعانى مكتملة مجتمعة ، فما على الدعاة إلى الله وشباب الإسلام اليوم إلا أن يحملوها إلى الدنيا من جديد.

- **من أجل ماذا ؟**

◈ من أجل رد البشرية إلى المنهج الربانى ، والدين المعطاء.

◈ من أجل إنقاذ العالم من المادية الطاغية ، والإباحية الفاجرة.

◈ من أجل إظهار هذا الدين على الدين كله.

◈ من أجل مواجهة التحدى الحضارى الحديث فى جميع مجالاته ، إقرار ماينسجم مع الإسلام ، ونبذ ماينتافى معه.

◈ من أجل الوقوف مع الحق لنصرة المظلومين والمستضعفين – **أينما وجدوا** – والأخذ بأيديهم ورفع الظلم عنهم ". [1]

وإذا كانت الأشياء بأضدادها تتميز ، فلننظر إلى النتيجة المحتومة لغياب الدعوة عن ساحة الناس ، حتى نقف على أهميتها وضرورة الحرص عليها.

أورد الإمام البخارى فى صحيحه عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى ﷺ **أنه قال** :

(١) سلسلة مدرسة الدعاة [المجلد الأول – ص ٥٢] عبدالله ناصح علوان

" مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة [1] ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ؟ فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً [2] .

ونستخلص من هذا كله أهمية الدعوة لكل البشر ، وأنها تمثل صمام الأمان للمجتمع بأسره ، وأن إهمالها والتفريط فيها إيذان بحلول الفوضى وعموم البلوى ، وفشو الضلالة ، وساعتئذ يحيق العذاب بالصالحين والطالحين على السواء ، وصدق الله إذ يقول : " واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب " [3]

(١) استهموا على سفينة : اقترعوا على أماكن نزولهم فيها ، ليعرفوا من ينزل أسفل ، ومن يصعد أعلى .
(٢) أخرجه البخاري - (ج٣ - ص ١٥٢) كتاب الشركة - باب هل يقرع في القسمة ؟ والاستهام فيه
(٣) سورة الأنفال - الآية (٢٥)

المبحث الخامس

فضل القيام بالدعـــوة

إذا كانت الدعوة إلى الله تعالى من الأهمية بمكان على النحو الـذى أشـرنا ، فإن الثواب المرجّى على أدائها والقيام بها عظيم وجليل كذلك.

ويكفينا أن نطالع بعضاً من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة للوقـوف على هذه الحقيقة.

(١) يقول رب العزة تبارك وتعالى : " **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين** " [١] .. وقد صدرت الآية باستفهام يفيد النفى، فلا يكـون هنـاك عمل أفضل عند الله من أن يسخّر الإنسان نفسه ليكون داعية إلى الله تعالى.

أورد الإمام ابن كثير فى تفسيره أن الإمام الحسن البصرى رضى الله عنـه تـلا هذه الآية : " **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين**" فقال : " هذا حبيب الله ، هذا ولى الله ، هذا صفوة الله ،هذا خيرة الله ، هذا أحب أهـل الأرض إلى الله ، أجاب الله فى دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه مـن دعوته .. هذا خليفة الله ". [٢]

(٢) يقول الله تعالى : " **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون** " [٣] .

والشاهد فى الآية الكريمة أن الله تبارك وتعالى أمر المؤمنين بأن تكون منهم أمـة داعية إلى الخير آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر ، وذيّـل الآيـة بقولـه : " **وأولئك هم المفلحون**" وهو أسلوب من أساليب الحصر ، وعلى هذا فالمفلحون حقـا هم الدعاة إلى الله ، ومن سلك سبيلهم وسار على دربهم.

---

(١) سورة فصلت – الآية (٣٣)
(٢) تفسير ابن كثير – (ج٤ – ص١٠٣) مرجع سابق
(٣) سورة آل عمران – الآية (١٠٤)

(٣) يقول الله تعالى: " **كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله** " (١)

والشاهد فى الآية الكريمة أن الله تبارك وتعالى بيّن خيرية الأمة الإسلامية على ماسواها من الأمم ، وكأن سائلاً سأل وقال : **ولماذا أمة الإسلام هى خير أمة** ؟ فكان الجواب ببيان أنها أمة مؤمنة فى ذاتها ، داعية إلى الخير فى غيرها ، فمن حقق الشرط نال التكريم وإلا فلا .

يقول الإمام القرطبى فى تفسيره : قوله : " **تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك ، فإذا تركوا التغيير وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ، ولحقهم اسم الذم ، وكان ذلك سبباً لهلاكهم** " (٢)

وقد مضى بنا ما يؤكد على هذا المعنى من كلام الفاروق عمر رضى الله عنه حيث قال فى تعليق له على هذه الآية : " **من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها** " .

(٤) يقول الله تعالى : " **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر .....الخ الآية** " (٣)

وفى هذه الآية الكريمة يشير القرآن الكريم إلى أن الدعوة إلى دين الله هى من أخص صفات المؤمنين ، وأن من يلتزم بها يدفع عن نفسه تهمة النفاق ، حيث جاء قبلها قوله تعالى : " **والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف .....الخ الآية** " (٤)

---

(١) سورة آل عمران – الآية (١١٠)
(٢) المرجع المذكور [المجلد الثانى – ص ١٤١٥]
(٣) سورة التوبة – الآية (٧١)
(٤) سورة التوبة – الآية (٦٧)

يقول الإمام القرطبي في تفسيره : " **فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين ، فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورأسها الدعاء إلى الإسلام** " (١)

(٥) ومن الأدلة على فضل القيام بالدعوة من السنة النبوية قوله ﷺ : " **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً**..... " (٢).

وعلى ذلك فأجر الداعية موصول طالما انتفع الناس بعلمه ، وكلما زاد عدد المنتفعين بهذا العلم عاد الأجر على الداعية بقدر ما انتفع به .

(٦) وتدل نصوص القرآن الكريم على أن الأنبياء جميعاً رسالتهم الدعوة إلى الله تعالى، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة : " **رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** " (٣) ومع ختم النبوة بسيد الدعاة ﷺ يتبوأ الدعاة مكانة هؤلاء الأنبياء في تعريف الناس بربهم وتوثيق صلتهم به ، ولذا وصفهم النبي ﷺ بأنهم ورثة الأنبياء (٤) .. وهو شرف عظيم حريٌ بأن تتشوف نفوس المؤمنين الصادقين إلى تحقيقه والوصول إليه.

(٧) يضاف إلى ما ذكرنا أن معلمي الناس الخير يستغفر لهم كل من في السموات والأرض ، حتى الحوت في البحر ، وحتى النملة في جحرها ، وفضل تعليم العلم يفوق بمراحل كثيرة فضل من يتفرغون للعبادة من صلاة وصيام وغير ذلك.

فليعلم إخواننا الدعاة مقامهم ، ويدركوا منزلتهم ، فهم في أعلى المراتب وأرفع الدرجات ، وهنيئا لكل من يسير سيرتهم ، أو يقفو أثرهم.

---

(١) المرجع المذكور [المجلد الثاني – ص ١٢٨٩]

(٢) أخرجه مسلم (ج٤ –ص ٢٠٦٠) كتاب العلم – باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة.

(٣) سورة النساء – الآية (١٦٥)

(٤) الحديث ذكره الإمام البخاري تعليقا (ج١ – ص٢٩) كتاب العلم – باب العلم قبل القول والعمل ، وأخرجه أبو داود بسند متصل (ج١ – ص٣١٠) كتاب العلم – باب الحث على طلب العلم . وأخرجه الترمذي (ج٥ – ص٤٨) كتاب العلم – باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة.

المبحث السادس

العلاقة بين الدعوة والحسبـــــة

استعمل القرآن الكريم لفظ الدعوة فى الدلالة على الخير أو النهى عن الشر ، فقال عن الغاية التى لأجلها بعث النبى ﷺ : " **يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً** " (١)

ونفس الاستعمال ورد فى السنة ، ففى الحديث : " **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شئ** ". (٢)

كما استعمل القرآن الكريم والسنة النبوية لنفس الغرض لفظ " **الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر** " .. والأدلة على ذلك كثيرة ، وقد مر بنا بعضها.

وبالنظر فى تعريف الفقهاء للحسبة نجد أنها لا تخرج عن هذين المعنيـــين . فقد عرّفها العلماء بأنها : " **أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله** ".

ولذا فإن العلماء إذا أرادوا أن يستدلوا على وجوب الحـــسبة أوردوا الآيـــات الداعية إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واستدلوا بها على مرادهم.

ولعل إيثار العلماء لمصطلح الحسبة جاء من كون الآمر بالمعروف والنـــاهى عن المنكر يبتغى بعمله مرضاة الله تعالى ونيل ثوابه ، فسمى محتسبا لذلك.

---

(١) سورة الأحزاب - الآيتان (٤٥ - ٤٦)
(٢) مسبق تخريجه

يقول ابن الأثير فى تعليقه على حديث (**من صام رمضان إيماناً واحتساباً**)[1] :- "الاحتساب من الحسب ، كالاعتداد من العد ، وإنما قيل لمن ينوى بعمله وجه الله احتسبه، لأن له حينئذ أن يعتد عمله ، فجعل فى حال مباشرة الفعل كأنه معتد به".[2]

وعلى ذلك فألفاظ الدعوة والاحتساب والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ألفاظ متقاربة ، يدل أحدها على ما يدل عليه الآخر.

ومن ثم فأركان الحسبة هى نفسها أركان الدعوة ، فالمحتسب هو الداعى ، والمحتسب عليه هو المدعو ، والمحتسب فيه هو موضوع الدعوة ، وما يقوم به المحتسب- **والذى يطلق عليه الاحتساب** - هو ما يقوم به الداعى وهى عملية الدعوة.

وإذا كانت الألفاظ متقاربة - **على النحو الذى ذكرت** - فلنقتصر فى بحثنا على استعمال لفظ الدعوة ومشتقاتها ، منعاً للتشتت ، وخوفاً من اللبس الذى قد يقع فيه البعض ، نتيجة استعمال هذا المصطلح مرة ، واستعمال مصطلح أخر مرة ثانية.

---

(١) أخرجه البخارى (ج١- ص١٧) كتاب الايمان - باب صوم رمضان احتساباً من الايمان - وأخرجه مسلم (ج١ -ص٥٢٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الترغيب فى قيام رمضان . وهو التراويح.

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر (ج١ - ص٣٨٢) مادة : حسب.

المبحث السابع

وسائل وأساليب الدعـــــوة

تطلق الوسائل على مجموعة الطرق التى يسلكها الداعية للاتصال بالمدعوين وتوجيههم والتأثير عليهم.

وأما الأساليب فيراد بها الطريقة التى يعرض بها الداعية فكرته مـــن خـــلال وسيلةٍ مّا من وسائل الدعوة.

فإذا نظرنا مثلاً إلى خطبة الجمعة نجد أنها وسيلة يبلغ الداعية مـــن خلالهـــا دعوته ، وأما طريقة تناوله لموضوعه فى خطبته فإنه أسلوب.

وقد تكون الوسيلة فكرة يعرضها الداعية مكتوبة فى كتاب أو بحث أو مقال ، وتكون طريقة عرضه لهذه الفكرة هو الأسلوب.

وبهذا يتضح الفرق بين الوسيلة والأسلوب ، **فالفكرة تستدعى قائلاً لها (هو الداعى) ومستقبلاً لها (وهو المدعو)** وهذه جوانب ثلاثة لاعلاقة للوسيلة والأسلوب بها.

فإذا انتقلت هذه الفكرة من الداعى إلى المدعو بواسطة ما من الوسائط ، فهذه الواسطة هى الوسيلة ، **ووصولها من الداعى إلى المدعو عبر هذه الواسطة كيف يتم ؟ هـذا هو الأسلوب .**

وقد قسم العلماء الوسائل إلى تقسيمات كثيرة ، فمنهم من قسمها إلى وســـائل معنوية وأخرى مادية ، وبعضهم قسمها إلى وســـائل مكتوبـــة ، ووســـائل كلاميـــة مسموعة، ومنهم من قسمها إلى وسائل مباشرة ، ووسائل أخرى غيـــر مباشـــرة .. ولكل قسم من هذه الأقسام أشكال وصور كثيرة تنحصر تحته ، ويطول شرحها وليس هنا مجال التفصيل فيها.

لكننا نشير إلى إمكانية استفادة الداعية من كافة الوسائل لنشر الدعوة شريطة أن تكون الوسيلة مشروعة ، لأن الغاية المشروعة تستلزم وسيلة من جنسها ، **والله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً ، ولا يصح لمسلم أن يعبد الله بغير ما شرع.**

والأساليب كذلك قسمها العلماء إلى تقسيمات كثيرة يصعب حصرها ، وإلى كثرتها وتنوعها يشير صاحب كتاب (المدخل إلى علم الدعوة) [1] فيقول:-

إن مجموعة الأساليب التي تحرك الشعور والوجدان تمثل المنهج العاطفي ، ومجموعة الأساليب التي تدعو الإنسان إلى التفكر والتدبر والاعتبار تمثل المنهج العقلي، ومجموعة الأساليب التي تعتمد على الحس والتجارب الإنسانية تمثل المنهج الحسي .... وهكذا ، ومن هنا كان حصر الأساليب صعباً ، نظراً لتنوعها وكثرتها ، وقد نص القرآن الكريم على بعضها نصاً صريحاً مباشراً [2]، كما أشار إلى بعضها إشارة [3] ، إلا أننا نجد لجميع الأساليب الدعوية تقريباً استخدامات في القرآن الكريم والسنة النبوية ، ولايكاد يخلو منها نص قرآني ، أو حديث نبوي " . أ.هـ

وعلى الداعية – **في هذا المجال** – ألا يدخر وسعاً في استخدام كافة الأساليب لإنجاح دعوته ، مع تنويع أساليبه وفق حاجة مخاطبيه ، وأن يعتبر نفسه كالطبيب ، يعطي لكل مريض ما يناسبه من الدواء.

---

(١) المرجع المذكور (ص٢٤٢) محمد أبو الفتح البيانوني.

(٢) من الأساليب التي أشار إليها القرآن الكريم صراحة : أسلوب الحكمة ، وأسلوب الموعظة الحسنة ، وأسلوب الجدال بالتي هي أحسن.

(٣) ومن الأساليب التي أشار إليها القرآن الكريم ضمنا أسلوب الترغيب والترهيب وأسلوب القدوة الحسنة ...الخ.

المبحث الثامن

عوامل نجاح الدعـــــوة

في إطار تحقيق البصيرة التي أمرنا الله تعالى أن ندعوا على أساسها ، وذلك في قوله تعالى " **قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** " [1] في هذا الإطـــار وضع العلماء مجموعة من الضوابط والتوجيهات من شأنها إذا ما روعيت أن تحقـق النجاح بإذن الله تعالى .

- **ومن أهم هذه الضوابط والتوجيهات ما يلي :-**

أ - استصحاب الأمل حال الدعوة .
ب - التخطيط والمتابعة .
ج - رعاية الأولويات .
د - التعاون مع الغير والاستفادة منه .
هـ - الدعوة إلى الجوانب العلية في الدين والتخلي عما لا ينفع وعن الجدال .

- **وفيما يلي نتعرف على كل عنصر من هذه العناصر وأهميته في مجال الدعوة إلى الله تعالـــى .**

(أ) استصحاب الأمل حال الدعوة :

يتحرك الداعية وفق ما أمره الله - **عز وجل** - في كتابه ، ومـــا دعـــاه إليـــه الرسول ﷺ في سنته من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

ويقوم الداعية بهذا العمل باعتباره عبادة فـــي ذاتـــه ، ســـواء وجـــد الآذان الصاغية ، والقلوب المفتوحة ، أم لم يجد ، وسواء آمن الناس أم لم يؤمنـــوا ، فهـــو على ثقة من أن ما لديه هو الحق ، واستجابة الناس أو عدمها شئ آخر .

---

(١) سورة يوسف - الآية (١٠٨)

ألا ترى إلى قوله ﷺ " **عرضت علي الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيط** [1]، **والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي ليس معه أحد ...** " [2]

والشاهد في الحديث أن قلة أو عدم إيمان أحد بنبي ما من الأنبياء لا يقدح في أن ما جاء به هو الحق .

ولكن نظرة الداعية إلى مجموع الأدلة القرآنية والنبوية تحيطه علما بأن الله خلق الناس جميعا على فطرة سوية ، فإذا اعتري هذه الفطرة بعض الصدأ لم يكن معناه أن الفطرة ذاتها فسدت ، بل يظل إمكان الإصلاح فيها موجوداً بإذن الله تعالى .

ويستأنس لهذا المعنى بقوله تعالى " **وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون** " [3]

ويستأنس لذلك أيضا بما فعله الله مع نبييه : موسى وهارون ، وذلك حين أرسلهما إلى فرعون الطاغية ، قائلاً لهما: " **فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى** " [4]

وعلى هذا الترتيب يتحرك الداعية بثقة ورجاء في إيمان الناس كلهم ، ورغبة الجميع فيما لديه من الخير .

---

(١) الرهيط : تصغير الرهط ، وهي الجماعة دون العشرة .

(٢) أخرجه مسلم ، واللفظ له (جـ١ - صـ١٩٩) كتاب الإيمان - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، وأخرجه البخاري بلفظ قريب منه (جـ٤ - ص١١) كتاب الطب - باب من اكتوى أو كوى غيره ، وفضل من لم يكتو ، و أخرجه الترمذي بنحوه (جـ٤ - ص٦٣١) كتاب صفة يوم القيامة - باب رقم (١٦) منه ، و أخرجه أحمد (جـ١ ص٢٧١).

(٣) سورة الأعراف - الآية (١٦٤)

(٤) سورة طه - الآية (٤٤)

يقول الأستاذ البهي الخولي : " الداعية الفقيه يستقبل الناس جميعاً وهم لديه في حسن الاستعداد سواء ، وكله رجاء – بل يقين – في أن يجد من الجميع أعواناً له على الخير الذي يدعو إليه ، فإذا أعرض عنه إنسان أو رده بسوء فإنه لا يتوقع الشر من الآخرين أبداً ، إذ هو يدرك أنهم ينطوون على فطرة الحق ، والحق مبعث الأمل والرجاء ، بل مبعث الثقة واليقين ، ولهذا تراه يستقبل الآخرين برجاء جديد ويقين جديد ، كأن له في كل فطرة وفي كل وجه هاتفاً يهتف به : هنا النصير ، فلا يفوتنك هذا النصير " (١)

وما من شك في أن مراعاة الداعية لهذا الجانب تجعله دائم العطاء ، وحياته حافلة بجلائل الأعمال ، فإن استغنى أحد من الناس عما في يديه كانت سلوته أنه أحوج إليه من غيره ، والله لن يضيع له جهده ، مصداقاً لقوله تعالى في كتابه الكريم : " **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من احسن عملاً** " (٢)

(ب) التخطيط والمتابعـــــة :

تقوم الدنيا بأسرها على التخطيط ، وأحد مظاهر هذا التخطيط يقوم به أعداؤنا لإحكام السيطرة علينا ، وإضعاف صلتنا بديننا ، وكثيراً ما يحيق بالمسلمين مكروه ، فإذا بنا نقول : هذا من مخططات اليهود أو الصليبيين أو غيرهم.

" إن الدول الكبرى تخطط للعالم كله ، وترصد كل ما يجرى فيه ، وتحاول أن تجعل كل شئ يسير فى الطريق الذى تريد، وإن آلاف المؤسسات تعمل نفس العمل ، وكل العالم لا يرغب أن يأخذ الإسلام مداه فى العالم . أفيمكن أن يقابل هذا كله بعفوية وارتجال دونما تخطيط أو نظام ؟ " (٣)

---

(١) تذكرة الدعاة (ص ٢٨٣) .
(٢) سورة الكهف الآية (٣٠)
(٣) دروس فى العمل الإسلامي (ص٣٩) بتصرف يسير - سعيد حوى

وإذا كان الواحد منا لا يدخر وسعا فى التخطيط لمستقبله ومستقبل عياله وأسرته، أليس من الأولى والأحرى أن يخطط لدعوته ومستقبل رسالته ؟

" أو ليس الأجدر أن يجلس الداعية فيخطط كيف ينهض بالدعوة فى المنطقة التى يقطن فيها ، وكيف تصل دعوته إلى كل الناس وتؤثر فيهم ، وما هى السبل التى تعين على تحقق ذلك وتؤثر فيهم ، أليس الأجدر بالداعية حينما يرى الناس على معصية معينة أن يخطط كيف يقنع الناس بالإقلاع عنها دون أن يؤدى ذلك إلى منكر أشد ومعاصى أكثر ؟؟

أليس الأجدر بالأمة حاملة الرسالة أن تخطط كيف تحافظ على دينها وهويتها، وكيف تستطيع حمل الإسلام إلى الأمم الأخرى والأجيال التالية نقيا كما حمل إلينا ؟!

أليس الأجدر بالجماعات والمعاهد الإسلامية المختصة بشؤون الدعوة الإسلامية أن تضع لنفسها وللناس خطة ، واضحة المعالم محددة الوسائل والأساليب ، للارتقاء بالمسلمين ودعوة غير المسلمين ، ورفع راية الإسلام فى الدنيا ، وإعلاء كلمة التوحيد فى كل مكان ؟!

إن المبشرين والمنصرين يخططون لأزمان بعيدة كيف يحولون المسلمين عن دينهم ويصدونهم عن السبيل ويشككونهم فى عقيدتهم وإسلامهم ، ويخططون كيف يحتلون أرض المسلمين وينتهبون ثرواتهم ويستعبدونهم أو يخرجونهم من دينهم ؟!

وتعقد لذلك المؤتمرات والندوات والمدارسات ، وتوضع لذلك الوسائل الواضحة والأساليب المناسبة!!

ألسنا الأجدر بذلك ونحن أمة وعدت بالنصر ، ومعها الله العظيم الكريم الذى يعطى الكلمة الصادقة فيصك بها الآذان ، ويطلع على النية الصادقة فيعطى عليها الأجر وإن حالت الظروف دون تنفيذها ". (١)

(١) تأملات فى فقه الدعوة(ص٢٣٤ - ص٢٣٥) للدكتور/ طلعت محمد عفيفى ، والدكتور/ جمال عبد الستار محمد

إن فائدة التخطيط تكمن فى أنه يتيح لصاحبه تحقيق أعلى التنافع فى أقل وقت ممكن رغم ضعف الإمكانات ، كما يمكن من خلاله قياس درجات النجاح من عدمه خلال فترة زمنية معينة ، وبالتالى يمكن دعم الإيجابيات وتلافى السلبيات ، واستدراك النقائص والاختلالات.(١)

- **وعلى الداعية فى مجال التخطيط لدعوته مراعاة ما يلى :**

١ - أن التخطيط تفعيل لمبدأ الأخذ بالأسباب ، وهو أمر كلفنا الله به ودعانا إليه ، وساق لنا فى سورة الكهف قصة الملك الصالح ذى القرنين ، فكان فيما أثنى به عليه قوله : " **وآتيناه من كل شئ سبباً . فأتبع سبباً** ". (٢)

قال القرطبى :- " وأصل السبب الحبل ، فاستعير لكل ما يتوصل به إلى شئ ، واتباعه للسبب معناه أخذه بسبب من الأسباب التى أوتيها ".(٣)

٢ - أن فى سيرة النبى ﷺ ما يدل على التخطيط ، وأبرز مثال على ذلك حادث الهجرة، وما كان قبله وأثناءه وبعده يدلنا على نموذج راقى فى التخطيط ، مما يجعلنا - حين نأخذ بهذا المبدأ - نسير على منهج الرسول الأعظم ﷺ.

٣ - فى ضوء هذا الهدى القرآني والنبوى يحدد الداعية أهدافه بشرط أن تكون قابلة للتنفيذ ، ويحدد لكل هدف طريقة الوصول إليه ، والمدة اللازمة لتحقيقه، ويضع ذلك ضمن جدول يتابع من خلاله مدى تحقيقه لتلك الأهداف.

٤ - فإن تحقق له كل ما أراد فليحمد الله تعالى على توفيقه ، وإذا حدث تخلف لتلك الأهداف أو بعضها فليراجع نفسه حتى يتلافى أسباب القصور ، وليعدل خطته بما يراه أنسب ، وليثق دائما بأن جهده لن يضيع سدى ، طالما لم يدخر وسعاً فى سبيل دينه ونصره دعوته.

---

(١) انظر المرجع السابق (ص ٢٣٦).
(٢) سورة الكهف - الآيتان (٨٤-٨٥).
(٣) تفسير القرطبى (ص٤٠٨٧- المجلد السادس).

(ج) رعاية الأولويـــات :

حين أمرنا الله تعالى بالدعوة إلى دينه شرط لها شرطاً ، وهى أن تكون على بصيرة ، فقال سبحانه : " **قل هذه سبيلى ، أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** " [1]

ولن تكون الدعوة على بصيرة حتى يعرف الداعيـــة حـــال مدعويـــه ، ومـــا يحتاجون إليه ، وما القضايا الهامة التى يحتاجون إليها قبل غيرها ، ومن ثم يقدم ما يستحق التقديم ويؤخر ما سواه.

ورعاية الأولويات منهج قرآنى نبوى أخذ به السلف الصالح فى كـــل زمـــان ومكان ، فأثمرت جهودهم ، وبوركت دعوتهم.

ومن أدلة اهتمام القرآن الكريم بأمر رعاية الأولويات ما أورده الإمام البخارى بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : " إنما نزل أول ما نزل منه – أى من القرآن – سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، **ولو نزل أول شئ لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنا أبداً.**

لقد نزل بمكة على محمد ﷺ – وانـى لجاريـة ألعـب – : **بـل الـساعة موعـدهم ، والساعة أدهى وأمر** [2] ، **وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده** " [3]

---

(١) سورة يوسف – الآية (١٠٨)
(٢) سورة القمر – الآية (٤٦)
(٣) اخرجه البخارى (ج٣ –ص٢٢٧) كتاب فضائل القرآن – باب تأليف القرآن.

ومن أدلة اهتمام السنة برعاية الأولويات ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن ، قال: " إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم [1] ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ".[2]

وإلى جانب هذا التوجيه النبوى القولى أعطانا النبى ﷺ القدوة من نفسه، فكان أول ما بدأ به دعوته فى مكة المكرمة هو ترسيخ مبادئ العقيدة ، ودحض افتراءات المشركين ، ثم جاءت الشرائع والأحكام بعد ذلك فصادفت أرضاً خصبة ، فأينعت وأثمرت بإذن الله تعالى .

ومن أدلة رعاية الصحابة للأولويات تعلما وتعليما ما ورد عن الصحابى الجليل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : " لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغى أن يقف عنده منها" .

ثم يبين رضى الله عنه ما ترتب من أثر سيئ وعاقبة وخيمة على من أهملوا أمر ترتيب الأولويات ، فيقول فى إثر كلامه السابق : " ولقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته ، لا يدرى ما آمره وماز اجره وما ينبغى أن يقف عنده ، ينثره نثر الدقل " [3]

---

(١) كرائم أموالهم ، أى : أحذر أن تأخذ أفضل ما بأيديهم من أموال ، إلا إذا سمحت نفوسهم بذلك.

(٢) أخرجه مسلم ، واللفظ له (ج١- ص٥٠) كتاب الإيمان – باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام / وأخرجه البخارى بنحوه (ج٢- ص١٦٥) كتاب الزكاة – باب أخذ الصدقة من الأغنياء ، وترد فى الفقراء حيث كانوا

(٣) الدقل: ردئ التمر

ومن مجموع هذه الروايات والملاحظات يتأكد لدينا أهمية الحرص من كل داعية على رعاية الأولويات ، وتقديم الأهم فى الدعوة على المهم، ويستلزم هذا من الداعية أن يكون على وعى كامل بظروف البيئة التى يعيش فيها ، ويعرف كل شئ عن أهلها من حيث اتجاهاتهم وأفكارهم وأحوالهم الاجتماعية ، ويختار لهم - **وفق هذه المعرفة** - ماهم فى حاجة إليه ، مع تقديم الفرائض على النوافل ، وفروض العين على فروض الكفاية، ومصلحة الأمة على مصلحة الأفراد ، وفرض الوقت على الفرض الذى له مساحة زمنية أوسع ... **وهكذا**.

وبذلك ينجح الداعية فى رسالته ، وينال رضا خالقه ، وتلهج الألسنة بجميل الثناء عليه فى حياته ، وجميل الدعاء له بعد مماته.

(د) احترام الدعاة الآخرين ، والتعاون معهم :

مما يساعد على نجاح الدعوة أن تتكامل جهود العاملين فى ميادينها ، بحيث يكمل بعضهم بعضا ، وما قد يعجز عنه أحدهم يقوم أخوه بتحمله عنه ، وبذلك يتعاون الجميع على نصرة الإسلام ونجاح الدعوة، ويظهر الجميع بمظهر الأخوة والألفة التى هم أولى الناس بها ، وأحق الناس بالحرص عليها.

وللدعاة أسوة حسنة فى رسول الله ﷺ وصحابته ، فقد وجههم النبى ﷺ إلى ضرورة مراعاة هذا التكامل والحرص عليه حين ابتعثهم للقيام بواجب الدعوة ، فقد أخرج الشيخان فى صحيحيهما أن النبى ﷺ بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن ، وقال : **يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا.**[1]

(١)أخرجه البخارى (ج٤- ص٣٣) كتاب الجهاد والسير - باب ما يكره من التنازع والاختلاف ... الخ
وأخرجه مسلم (ج٣ - ص١٣٥٨) كتاب الجهاد والسير - باب فى الأمر بالتيسير وترك التنفير

ومن الإشارات القرآنية التى يستفاد بها فى هذا المقام قولـه تعـالى : " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزله إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون " (١) .

والشاهد فى هذه الآية القرآنية أن المسلم حين يتحاور مع أهل الكتاب ينضبط بأن يكون حواره بالتى هى أحسن ، وأن ينطلق كذلك من مواطن الاتفـاق بينـه وبيـنهم ليجعلها أساسا لهذا الحوار.

فإذا كان هذا واجبا على المسلم حيال من يخالفونه فى عقيدته وأصل دينـه ، فكيف بأخيه الداعية، الذى يسعى مثله لإرضاء الله تعالى ، ويجتهد فى أن يدل الناس علـى الله، دون أى فرق بينهما ؟

إن الواجب على دعاة الإسلام أن يتعاونوا فيما اتفقوا عليه ، ويعذر بعـضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه ، لاسيما وأن مواطن الاتفاق أكثر من أن تحـصر ، ومـواطن الاختلاف تتعلق بأمور فرعية ، تختلف فيها وجهات النظر عادة ، فإذا جعلنا الفروع أصولاً ، وبدأنا نختلف إلى درجة التخاصم والتهاجر فهذا داء وبيل وشر مستطير.

جاء فى كتاب (الاعتصام) للإمام الشاطبى رحمه الله :- " كل مسألة حدثت فى الإسلام واختلف الناس فيها ولم يورّث ذلك الاختلاف بينهم عـداوة ولا بغـضاء ولا فرقة، علمنا أنها من مسائل الإسلام ، وكل مسألة حدثت وطـرأت فأوجبـت العـداوة والبغضاء والتدابر والقطيعة ، علمنا أنها ليست من أمر الدين فى شـئ ". ويـضيف قائلاً :- " إن الإسلام يدعو إلى الألفة والتحاب والتراحم والتعاطف، فكل رأى أدى إلى خلاف ذلك فخارج عن الدين" .(٢)

---

(١) سورة العنكبوت - الآية (٤٦)

(٢) الاعتصام (ج٢ - ص ٢٣٢) - تحقيق السيد محمد رشيد رضا - بدون تاريخ أو اسم مطبعة .

ويقول الأستاذ سعيد حوى رحمه الله : " إن المفاصلة ينبغي أن تتم بين المسلمين وغيرهم ممن ليسوا مسلمين ، أما أن تكون المفاصلة بين المسلمين أنفسهم بسبب من اختلاف على قضية فرعية فهذا من أفظع الانحراف . إنه لا يكاد يوجد بين المسلمين اثنان من العلماء يتفقان على كل شئ وعلى كل مسألة حتى ضمن المذهب الواحد والاتجاه الواحد، فإذا جعلنا كل مسألة فرعية سببا للمفاصلة لم يبق اثنان من المسلمين على حالة إخاء وصفاء . إن هناك ناساً على استعداد لأن يشعلوا بين المسلمين حرباً بجعلهم الخلافات الفرعية فيصلاً بينهم وبين الآخرين . إن مثل هذا الاتجاه كاف لتحطيم المسلمين ، وجعل غيرهم يركبونهم كما هو الواقع الآن. إن بعضنا شديد على الآخرين من أجل مثل هذه الأمور شدة تنسيه أولئكم الذين يكفرون ويريدون أن يحكمونا بالفكر. إن هذا من أكبر الانحراف عن التصور الإسلامي" [1]

وأحد الأسباب المؤدية إلى هذا التنازع والاختلاف بين الدعاة تعصبهم لشخص بعينه ، أو لجماعة بعينها ، بحيث يرى أنهم على صواب لا يحتمل الخطأ وغيرهم على خطأ لا يحتمل الصواب ، ومن هنا تنشأ العداوة والفرقة بدلاً من المحبة والتعاون. والعلماء يحذرون من مثل هذا أيضاً ، ويؤكدون على أهمية أن يكون الولاء لله ولرسوله دون أشخاص الدعاة. يقول الإمام ابن تيمية رضى الله عنه:- " إن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى، فهو الذى يجب تصديقه فى كل ما أخبر ، وطاعته فى كل ما أمر ، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة ، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، فمن جعل شخصاً من الأشخاص غير رسول الله ﷺ من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة ، ومن خالفه كان من أهل الفرقة والبدعة، كان من أهل البدع والضلال والتفرق" [2]

---

(١) دروس فى العمل الإسلامي (ص٢٠ - ص ٢١) مرجع سابق .
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ج٣ - ص٣٤٦ -ص٣٤٧) بدون تاريخ أو اسم مطبعة.

وعلى هذا الهدى يتحرك الداعية وهو يضم جهوده إلى جهوده إخوانه الدعاة وينسق معهم ، ويستفيد كل منهم من الآخر ، وهذا هو دليل الصدق ، كما قال بعضهم: " **الصادق هو الذي يضرب مع كل غنيمة بسهم ، ويصاحب كل قوم على أحسن ما لديهم** " .

فإذا اختلفت وجهات النظر فينبغي ألا يتطرق هذا الاختلاف إلى القلوب والعلاقات ، فالولد يختلف مع والده، والصغير يختلف مع الكبير ، ولكن يبقى دائماً احترام الوالد والكبير مانعاً من أي تجاوز ، وهكذا المؤمن مع أخيه – **ومن باب أولى الدعاة** – فقد وصفهم الله بقوله : " **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** " [1] ، وقال عنهم: " **إنما المؤمنون إخوة** " [2]

فمن أولى بهذه المبادئ من الدعاة ؟ ومن يطبقها في أرض الواقع إذا لم يكن الدعاة قائمين بها ؟

(هـ) الدعوة إلى الجواب العملية في الدين ، والتخلي عما لاينفع وعن الجدال :

يحرص الداعية – **حتى تنجح دعوته** – على استثمار كافة أوقاته ، واكتساب المفيد دائماً لنفسه ولدعوته.

ومن هنا فإن الداعية لا يشغل نفسه إلا بماهو نافع ومفيد ، ويتجنب السفسطة والعلم غير النافع في توجيهاته للآخرين.

ونضرب هنا مثالين للعلم النافع ، ومثالين للعلم غير النافع ، ليكون ذلك بمثابة التوضيح لما أقصده.

---

(١) سورة التوبة – الآية (٧١) .
(٢) سورة الحجرات – الآية (١٠) .

فمثلاً يحرص الداعية على تعليم الناس الأحكام الفقهية المتعلقة بأمور العبادات والمعاملات لتكون هذه الأمور مؤداة على وجه صحيح.

يقول الصحابي الجليل أبو هريرة : " لأن أفقه ساعة أحب إلى من أن أحيى ليلة أصليها حتى أصبح ، والفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد ، ولكل شئ دعامة ، ودعامة الدين الفقه" (١)

وكذلك يحرص الداعية على ترغيب الناس في فضائل الأعمال ، ويحثهم على ذكر الله وقراءة القرآن ونحو ذلك.

قال عمرو بن قيس : " وجدنا أنفع الحديث لنا ما نفعنا في أمر آخرتنا ، من قال كذا فله كذا " (٢).

وفيما يتعلق بما يجب اجتنابه والتخلي عنه فاضرب له مثالين أيضا :

فمثلاً يتجنب الداعية الخوض فيما شجر بين الصحابة من خلاف ، ويمسك عن التحدث في الوقائع التي كانت بينهم ، ولا يحمل في قلبه إلا التقدير والتبجيل لجميعهم ، مع الدعاء والاستغفار لعامتهم .

ومن جميل ما أثر في هذا أن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز تكلم البعض أمامه فيما جرى بين الصحابة ، فقال : **" تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون** (٣)**"** (٤).

وكذلك يتجنب الداعية الخوض في المتشابه من الآيات ، نحو آيات وأحاديث الصفات التي يقتضي ظاهرها التشبيه والتجسيم وإثبات الجوارح لله تعالى.

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي ، و آداب السامع ، ج٢ ص١١٠
(٢) المرجع السابق ، ج٢ ص١١١
(٣) سورة البقرة – الآية (١٣٤) و (١٤١)
(٤) العواصم من القواصم (ص٢٥٢) القاضي ابو بكر بن العربي – بتحقيق محب الدين الخطيب

وعلى هذا الهدى سار سلف الأمة الصالح – رضى الله عنهم – فكانوا يضربون صفحا عن الكلام فى مثل هذه المسائل لقلة الفائدة منها.

يقول الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه : " الكلام فى الدين أكرهه ، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه – نحو الكلام فى رأى جهم والقدر وكل ما أشبه ذلك – ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل ، فأما الكلام فى دين الله وفى الله عز وجل فالسكوت أحب إلى ، لأنى رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام فى الدين إلا فيما تحته عمل " [1]

وقد ورد على لسان كثير من الأئمة ذم التعرض لهذه المسائل ولست بصدد ذكر هذه الأقوال ، وإنما أحيل من أراد الاستزادة منها إلى الكتب التى تحدثت فى هذا الشأن [2].

وأما الجدل فهو مظهر آخر مما يجب على الدعاة أن يتخلوا عنه فى تعاملاتهم مع الآخرين ، طالما استشعروا أن الطرف الآخر يتصور أن ما يقول به هو الحق الذى لا يأتيه الباطل ، وأن ما يقول به غيره باطل لا يحتمل الصواب.

يقول الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : " لا يكون الرجل من أهل السنة حتى يدع الجدال وإن أراد به السنة " [3]

ويؤيد ذلك حديث النبى صلى الله عليه وسلم : أنا زعيم [4] ببيت فى ربض الجنة[5] لمن ترك المراء[6] وإن كان محقا ، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه[7]

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ، ج٢ ص١١٦.
(٢) انظر المرجع السابق ، ج٢ ص١١٣ – ١٢٠، وانظر أيضا :صفة الفتوى والمفتى والمستفتى ، ص٤٤ – ٥٠، الإمام أحمد بن حمدان الحرانى الحنبلى ، وانظر أيضا : المجموع شرح المهذب ، ج١ ص٩٢
(٣) صفة الفتوى والمفتى والمستفتى(ص٤٨) الإمام أحمد بن حمدان الحرانى
(٤) زعيم : أى ضامن
(٥) ربض الجنة : ما حولها خارجا عنها كالقلاع و الحصون
(٦) المراء : الجدال.
(٧) أخرجه أبو داود واللفظ له (ج٢ – ص٦٠٤) كتاب الأدب – باب فى حسن الخلق / وأخرجه الترمذى وقال عنه : حديث حسن (ج٤ – ص٣٥٨) كتاب الأدب – باب ما جاء فى المراء/ ولكن فى رواية الترمذى أن ترك الكذب وإن كان مازحا له بيت فى ربض الجنة ومن ترك المراء له بيت فى وسط الجنة / وأخرجه ابن ماجة بمثل رواية الترمذى (ج١- ص١٩) المقدمة- باب فى اجتناب البدع والجدل.

وإنما دعا الإسلام أتباعه – **وعلى رأسهم الدعاة** – إلى التخلى عن الجدال لأنه لن يصل بأصحابه إلى نقطة اتفاق ، مما يجعل الداعية كمن يحرث فى ماء ، أو ينفخ فى رماد..

وفضلاً عن ذلك فإن الجدال يدع النفوس ممتلئة بالضغائن والإحن .

يقول الإمام مالك رضي الله عنه : " المراء يقسى القلب ، ويورث الضغن " (١)

وعلى ذلك يجب على الدعاة أن يهتدوا بهدى الإسلام فيما أمر بـــه أو نهـــى عنه، وبهذا تنجح دعوتهم ، وتحقق الثمرة المرجوة منها.

هذه- **أخى الداعية** – أهم الضوابط والتوجيهات التى مـــن شـــأنها أن تحقـــق النجاح – بإذن الله تعالى – فى مجال الدعوة إلى الله ، ولا يعنى هـــذا إهمـــال بقيـــة العناصر التى أشرنا إليها سابقاً ، أو التى سنشير إليها فيما بعد ، ولكنها عناصر يكمل بعضها بعضا ، والداعية الموفق هو من يحرص عليها جميعاً ، حتى ينال توفيـــق الله تعالى فى جميع خطواته.

(١) جامع بيان العلم وفضله (ج١– ص١٦٢) – الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر

الفصل الثانى

[الداعية وما يجب أن يكون عليه]

* ويشتمل علي المباحث التالية :-

(١) أخلاق الدعاة وصفاتهم

(٢) ثقافة الدعاة وعلمهم

المبحث الأول

[أخلاق الدعاة وصفاتهم]

* **ويشتمل على النقاط التالية :-**

(١) تعريف الأخلاق ، وأهمية التحلى بمكارمها

(٢) أهمية الجانب الخلقى فى حياة الدعاة

(٣) طائفة من الأخلاق اللازمة للدعاة

أولاً

تعريف الأخلاق ، وأهمية التحلي بمكارمها

عرف العلماء الخلق بأنه: " هيئة في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بيسر وسهولة ، من غير حاجة إلى فكر وروية "[1]

ويتضمن هذا التعريف عدة قيود لابد من ملاحظتها ، وهي على النحو التالي:

(١) هذه الهيئة لابد أن تكون - **لتسمى خُلقاً** - أن تكون في النفس راسخة ، بمعنى ثابته دائما ، وألا تكون عارضة ، وإلا فقدت صفة كونها خلقاً ، فلو رأينا بخيلاً تصدق لأمر عارض ، أو جبانا تشجع في موقف ، لا يسمى الأول كريما ولا الثاني شجاعاً ، لأن ما حدث منهما ليس راسخاً في النفس، وإنما هو أمر عارض واستثناء لا يقاس عليه .

(٢) هذه الهيئة الراسخة في النفس تصدر عنها الأفعال ، فإذا صدرت الأفعال عن غيرها كان نفاقاً ، لأن سريرة الشخص حينئذ خالفت علانيته .

(٣) والأفعال حين تصدر عن هذه الهيئة الراسخة في النفس تصدر بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فلا حاجة لدى صاحب الخلق الأصيل إلى التكلف والتصنع ، كما أنه يباشر الأفعال دون تردد أو تأخير ، وعلى هذا لا تدل الأفعال دلالة قاطعة على اتصاف صاحبها بالأخلاق حتى يجمع إليها هذه القيود ، كما أن عدم العمل لا يدل على تجرد صاحبه عن الأخلاق ، إذ من الممكن أن يعجز الكريم عن العطاء لقلة حيلته ، فلا يوصف حينئذ بالبخل .

---

(١) احياء علوم الدين (ج٨ - ص ١٤٣٤) الإمام أبو حامد الغزالي - طبعة دار الشعب

والمطلوب من المسلم أن يروّض نفسه ويطوعها حتى تكتسب الخلق الكريم ، ويصبح - مع مرور الوقت - طبعاً لا تطبعاً ، ففي الحديث : " **ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله** " (١) .

والمتأمل في هذا الحديث يجد فيه إجابة على سؤال يتردد كثيراً ، **وهو :**

هل الأخلاق قابلة للتغيير أم لا ؟

وقد أفاد الحديث إمكانية هذا التغيير بطول الرياضة واعتيادها ،وهو ما أكد عليه علماء السلوك .

يقول الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله : " لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ و التأديبات ، وكيف ينكر إمكان ذلك في حق الآدمي ونحن نرى إمكان ذلك مع البهائم ، فنحن نرى الكلب يتحول من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية ، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد ، كل ذلك تغيير للأخلاق " (٢) .

ويضيف الإمام بعداً آخر في مفهوم التغيير المقصود هنا ، وهو أننا لا نعني بالتغيير القضاء على أصل القوى الجسدية أو النفسية حتى لا يبقى لها أثر ، وإنما المراد رد هذه القوى إلى حد الاعتدال ، بحيث تصبح تحت سلطان العقل وليس العكس.

يقول رحمه الله : " رد الغضب والشهوة إلى حد الاعتدال ، بحيث لايقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه ، بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن ، وهو المراد بتغيير الخلق ، فإنه ربما تستولي الشهوة على الإنسان، بحيث لايقوى عقله على دفعها من الانبساط الى الفواحش ، وبالرياضة تعود إلى حد الاعتدال ، فدل أن ذلك ممكن ، والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لاشك فيها" (٣) .

---

(١) أخرجه البخاري [ج٢ - ص ١٥٧] كتاب الزكاة - باب الاستعفاف عن المسألة - وأخرجه مسلم بنحوه [ج٢ - ص ٧٢٩] كتاب الزكاة - باب فضل التعفف والصبر

(٢) احياء علوم الدين (ج٨ - ص ١٤٣٩) بتصرف

(٣) نفس المرجع السابق (ج٨ - ص١٤٤١) .

ولهذا كان ﷺ يسأل ربه حسن الخَلْق كما أنعم عليه بحسن الخلقة ، فكان صلى الله عليه وسلم يقول : " **اللهم أحسنت خلقي فأحسن خلقي** " (١).

وهو دليل يضاف إلى ما سبق على إمكان التغيير ، بحيث يجمع الإنسان بين جمال الصورة وجمال الحقيقة ، وبين حسن المظهر وسلامة المخبر .

وفى بيان مكانة الأخلاق فى الإسلام وعظم منزلتها يقول النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم : " **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** " (٢)

وفى التأكيد على أهمية التحلى بها وردت عدة أحاديث لا يتسع المجال لذكرها، ونكتفى منها بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله تعالى عنهم أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : النبي ﷺ يقول : " **ألا أخبركم بأحبكم إلىّ ، وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة ؟ فسكت القوم ، فأعادها مرتين أو ثلاثاً. قال القوم : نعم يا رسول الله قال: أحسنكم خلقاً** " (٣).

وفى هذا الحديث يطرح النبى ﷺ السؤال بنفسه على أصحابه ، ويخبرهم بشئ تتشوق إليه نفوسهم ، وتتطلع إليه قلوبهم ، وهو أن ينالوا محبة رسول الله ﷺ والقرب منه .

---

(١) أخرجه أحمد (ج٦ - ص٦٨) وقال عنه الهيثمى فى مجمع الزوائد [ج٨ - ص٢٠] : رجال أحمد رجال الصحيح .

(٢) اخرجه البيهقى بهذا اللفظ فى السنن الكبرى [ج٨ - ص٩١] باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها / وأخرجه أحمد فى مسنده [ج٢ - ص٣٨١] بلفظ (صالح الأخلاق) / وأخرجه مالك فى الموطأ بلفظ (حسن الاخلاق) [ج٢ - ص٩٠٤]. وقال ابن عبد البر : هو حديث مدنى صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبى هريرة وغيره .

(٣) أخرجه احمد (ج٢ - ص ١٨٥) وقال عنه الهيثمى فى مجمع الزوائد (ج٨ - ص ٢١) رواه احمد واسناده جيد .

إن المسلم مطالب بأن يحب رسول الله ﷺ حبا يفوق كافة الأشياء التى تجتذب حب الإنسان وتستولى عليه ، ففى الحديث : " **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين** " [1]. فهذا مقتضى الإيمان الكامل ، وهو أمر مفروض على كل مسلم ، لكن الحديث يتناول أناسا لهم خصوصية ، وهى محبة رسول الله ﷺ وقربهم من مجلسه يوم القيامة ، وهو شرف عظيم ، وأمل كبير يتمناه كل مسلم، ويسعى إليه كل مؤمن.

ولما كان الأمر من الأهمية بمكان أعاد النبى ﷺ سؤاله مرتين أو ثلاثا، حتى تتهيأ النفوس ، وتستشرف للجواب على السؤال . وكان الجواب بالتأكيد على أن أسعد الناس بهذا الشرف هم أحسن الناس خلقاً

(١) أخرجه البخارى (ج١ - ص١١) كتاب الإيمان - باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان / وأخرجه مسلم (ج١ - ص ٦٧) كتاب الإيمان - باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ..... إلخ

ثانياً

أهمية الجانب الخلقي في حياة الدعـــاة

في عبارة جامعة حول الأخلاق الحسنة ومثوبتها ، والأخلاق الفاسدة وعقوبتها يقول **الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله:** " الخلق الحسن صفة سيد المرسلين ، وأفضل أعمال الصديقين ، وهو على التحقيق شطر الدين ، وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين ، والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة ، والمخازي الفاضحة ، والرذائل الواضحة، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين ، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين ، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة . كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن ، والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب ، وأسقام النفوس ... "(١).

وإزاء هذه الحقائق التي يتولى الدعاة تعريف الناس بها ، وترغيبهم للتحلي بها، لايمكن أن يؤتي ذلك ثمرته ما لم يكن الداعية نفسه حريصاً عليها ، وأكثر التزاما بها ، وإلا صارت دعوته كحرث في ماء ، أو نفخ في رماد.

يقول ابن جماعة الكناني: " إن العلماء هم القدوة ، وإليهم المرجع في الأحكام ، وهم حجة الله تعالى على العوام ، وقد يراقبهم للأخذ عنهم من لا ينظرون ، ويقتدي بهديهم من لا يعلمون ، وإذا لم ينتفع العالم بعلمه فغيره أبعد عن الانتفاع به "(٢)

ومن ثم يقوم الداعية بواجبه في دعوة الآخرين إلى الله تعالى وهو يضع نصب عينيه أنه مقصود بالكلام قبل غيره ، ومدعو إلى تنفيذه قبل أن يحمل الآخرين عليه ، وذلك كما يقول بعضهم: " **إذا كنت إمامي فكن أمامي** ".

---

(١) احياء علوم الدين- (ج٨- ص١٤٢٦)

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (ص٢١) بتصرف يسير - بدر الدين ابن جماعة الكناني

فالداعية- **بناء على هذا**- قدوة صالحة ،وأسوة طيبة لكل من يدعوهم ، ولاينتظر لدعوة أن تنجح ، ولا لداعية أن يوفق دون أن يكون اهتمامه بقدوته قبل دعوته بلسانه.

وفى إشارة إلى أهمية التلازم بين الدعوة والقدوة يقول رب العزة: " **فلذلك فادع واستقم كما أمرت** " (١)

وقال تعالى:" **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنى من المسلمين** " (٢)، وفى هذا النص القرآني إشارة إلى أن ثناء الله تعالى على من يدعو إليه لا يتأتى إلا إذا قرن الداعى بين القيام بواجب الدعوة والالتزام بمبادئها ، وهو المشار إليه فى الآية بالعمل الصالح ، وإظهار الاعتزاز بالإسلام والانتساب إليه.

● **ولمزيد التأكيد على أهمية القدوة الحسنة فى مجال الدعوة أسوق هذه الحقائق:**

١ - إن عمل الداعية ليس مجرد الكلام والوعظ ، فما أيسر أن يعتاد الإنسان - **بكثرة المران**-على الألفاظ الجذلة، والعبارات الرصينة ، بحيث يطلب منه الحديث فى أى موطن ، فيفيض به كأحسن ما يكون . وقد قال الله تعالى فى شأن المنافقين : " **ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام**"(٣)

ومن هنا أكد العلماء على أن الناس تراقب الداعية ، ويكون انتفاعهم بعلمه بقدر ماينتفع بهذا العلم لنفسه.

يقول شهر بن حوشب: " **إذا حدث الرجل القوم ، فإن حديثه يقع من قلوبهم موقعه من قلبه** " (٤).

وقيل أيضا: " من لم ينفعك لحظه لم ينفعك لفظه" (٥).

---

(١) سورة الشورى- الآية ١٥.
(٢) سورة فصلت- الآية ٣٣.
(٣) سورة البقرة- الآية ٢٠٤.
(٤،٥) المنطلق . ص٢٥٦ . محمد أحمد الراشد

ويقول محمود بن الحسن الوراق:

إذا أنت لم ينفعك علمك لم تجد ** لعلمك مخلوقاً من الناس يقبله

وإن زانك العلم الذى قد حملته ** وجدت له من يجتنيه ويحمله [1]

٢- إن صوت القدوة أسمع ، ولغة العمل لا تحتاج إلى ترجمة ، فيكفى أن يعمل الداعية ويصير قدوة حسنة ليتحقق التأثير بصورة أقوى من أى عبارة بليغة ، أو خطبة رصينة.

يقول الإمام أبو حامد الغزالى رحمه الله : " العلم يدرك بالبصائر ، والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر " [2].

وقد أشار القرآن الكريم الى طرف من هذا المعنى فى أكثر من موضع

فنبى الله يوسف عليه السلام يقول الله تعالى فى شأنه : " **ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمراً وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين** " [3].

وقد كانت هذه القدوة الحسنة فى نبى الله يوسف عليه السلام مدخلاً لـه لـدعوة هذين الفتيين إلى الإيمان بالله تعالى ، ونبذ الشرك به.

وجاء فى القرآن الكريم على لسان **نبى الله شعيب عليه السلام** : "**وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت** " [4] فكأن الالتزام والعمل لما يدعو المرء الآخرين إليه هو أجدى وأنفع وسائل الإصلاح ، كما يتضح من الربط بينهما فى سياق واحد.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ، ج١ ص١٩٧ ، ابن عبد البر.
(٢) احياء علوم الدين ، ج١ ص٩٧
(٣) سورة يوسف- الاية٣٦.
(٤) سورة هود- الاية٨٨.

ومن المناسب فى هذا المقام أن نضم إلى هذه الأدلة القرآنية دليلاً من السنة على عمق تأثير القدوة الحسنة فى النفس البشرية ، وسرعة الاستجابة لها من أى كلام نظرى.

فقد أورد الإمام البخارى فى صحيحه أن النبى ﷺ دعا الناس يوم الحديبية إلى الحلق ونحر الهدى والتحلل ، وكرر ذلك الأمر ثلاث مرات ، حتى شق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر ذلك لأم المؤمنين **أم سلمة رضى الله عنها** ، فقالت: " **يا نبى الله ، أتحب ذلك ؟اخرج ثم لا تكلم منهم أحداً كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك .فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ، نحر بدنه ، ودعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً** " (١).

٣- إن التزام الداعية بما يدعو الآخرين إليه يجعل فى دعوته حرارة وحيوية ، لأنها تخرج من قلب منفعل بها ، ويعبر عنها لسان صادق اللهجة فيها ، وبذا تتأثر بكلامه القلوب ، وتنفعل بصدق حديثه النفوس ، فإن ما خرج من القلب وصل إلى القلب.

يقول **يحيى بن معاذ رضى الله عنه:** " **القلوب كالقدور فى الصدور ، تغلى بما فيها ، ومغارفها ألسنتها ، فانتظر الرجل حتى يتكلم ، فإن لسانه يغترف لك ما فى قلبه ، من بين حلو وحامض ، وعذب وأجاج ،يخبرك عن طعم قلبه اغتراف لسانه** " (٢).

---

(١) صحيح البخارى - كتاب الشروط - باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (ج٣ - ص ٢٤٠)

(١) نقلا عن " العواقب" . ص١٠٩ .محمد أحمد الراشد

٤ - إن العلم فى الإسلام منه ما هو نافع ومنه ما هو غير نافع ، والذى يحدد كونه من هذا الصنف أو ذاك هو مدى انتفاع الإنسان به لنفسه ، فإن عمل به كان نافعا ، وكان صاحبه عالما ، وإلا صار الجهل ألصق به دون نظر إلى ما يحفظه من العلم، قل أو كثر.

يقول سفيان بن عينية رضى الله عنه: " **إن أنا عملت بما أعلم فأنا أعلم الناس ، وإن لم أعمل بما أعلم فليس أحد فى الدنيا أجهل منى** " (١) .

ويقول الفضيل بن عياض- رحمه الله- : " **لا يزال العالم جاهلاً بما علم حتى يعمل به، فإذا عمل به كان عالماً** " (٢)

وقيل فى هذا المعنى أيضا : " **ليس العالم الذى يعرف الحلال من الحرام ، ولكن العالم الذى يعرف الحلال فيلتزمه ، ويعرف الحرام فيجتنبه** ".

وإذا ثبت ذلك تأكد لدينا أن من عجز عن دعوة نفسه وإصلاحها وتزكيتها بما تيسر له تحصيله من العلم سيكون عن إصلاح غيره أعجز ، فإنه لا يستقيم الظل والعود أعوج ، وفاقد الشئ لا يعطيه ، ومن لا يملك نصاباً لا يزكى.

٥ - <u>وأخيرا</u> فإن القدوة الحسنة دليل عملى على أن الالتزام بالدعوة وميادينها من الأمور المستطاعة ، وأنها فى مقدور كل إنسان ، وبدون القدوة تظل التعاليم والتوجيهات حبراً على ورق ، ويصبح الداعية فى نظر الناس رجلاً يسبح فى أجواز الخيال ، مما يسيئ إلى نفسه وإلى دعوته.

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ،ج١ص٩٠ . الحافظ الخطيب البغدادى.
(٢) اقتضاء العلم العمل . ص٣٧ .الخطيب البغدادى

- **بين الدعاة والأدعياء:**

اتضح لنا من خلال ما سقناه من أدلة وبراهين أن الداعية الحق هو من وعظ الناس بفعله قبل قوله ، وقدم الأسوة الصنة في نفسه قبل أن يطلبها من غيره.

ولكن الدعوة تبتلى أحياناً ببعض الأدعياء ، ممن يجيدون فن الكلام ، ويتجردون من أبسط قواعد الالتزام.

وهؤلاء الأدعياء خطر على الدين وعار عليه ، وهم آفة الإيمان وسقام الحياة ، وبهم تهوى المثل العليا إلى الحضيض ، وتتمرغ في الأوحال ، ويتجرأ العصـــاة والمذنبون على التمادى في باطلهم ، وهم يجدون في سلوك هؤلاء الأدعياء ما يشجعهم على اقتراف الآثام ، وارتكاب الخطايا.

يقول الإمام ابن القيم رضى الله عنه:- " علماء السوء جلسوا على باب الجنة ، يدعون اليها الناس بأقوالهم ، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم ، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا ، قالت أفعالهم لاتسمعوا منهم ، فلو كان حقاً ما دعوا إليه كانوا أول المستجيبين له ، فهم في الصورة أدلاء ، وفي الحقيقة قطاع طرق " (١)

ويقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله :- " الدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه هي الآفة التي تصيب النفوس بالشك ، لا في الدعاة وحدهم ولكن في الدعوات ذاتها ، وهي التي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم ، لأنهم يسمعون قولاً جميلاً ، ويشهدون فعلاً قبيحاً ، فتتملكهم الحيرة بين القول والفعل ، وتخبو في أرواحهم الشعلة التي توقدها العقيدة ، وينطفئ في قلوبهم النور الذي يشعه الإيمان ، ولايعودون يثقون في الدين بعد ما فقدوا ثقتهم برجال الدين" (٢).

---

(١) نقلاً عن " هداية المرشدين " . ص٩٢- الشيخ علي محفوظ.
(٢) في ظلال القرآن .(ج١ ص٦٨)

ومن هنا شدد الله النكير على من يسلكون مثل هذا المسلك ، فقال: " **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** " (١) .

وقال أيضا : " **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون* كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** " (٢).

وبينت السنة أن صاحب هذا التصرف الأحمق يستأهل عليه أكبر العقاب ، فقال ﷺ: " **يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار ، فتندلق أقتابه** (٣) **فى النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه ، فيقولون : أى فلان ،ما شأنك ؟أليس كنت تأمرنا بالمعروف ، وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيـــه** " (٤).

وفى التأكيد على خطورة هذا التصرف المتناقض يقول أبو العتاهية:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً	**إذ عبت منهم أموراً انت تأتيهـا**
تعيب دنيا وناساً راغبين لـــها	**وانت أشد منهم رغبة فيهـــا**
كالملبس الثوب من عرى وعورتـه	**للناس بادية ما إن يواريهـــا**
وأعظم الإثم بعد الشرك نعلمه	**فى كل نفس عماها عن مساويها**
عرفانها بعيوب الناس تبصرهـا	**منهم ولا تبصر العيب الذى فيها**

---

(١) سورة البقرة- الاية ٤٤.

(٢) سورة الصف- الأيتان ٢،٣.

(٣) فتندلق أقتابه : قال فى النهاية: الأقتاب: الأمعاء ، واحدها : قتب بالكسر . (ج٤ ص١١) مادة : قتب. والاندلاق خروج الشئ من مكانه.

(٤) أخرجه البخارى ، (ج٢ص٢٢٠)- كتاب بدء الخلق- باب صفة النار وأنها مخلوقة.

وأخرجه مسلم ، (ج٤ص٢٢٩١)- كتاب الزهد والرقائق - باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله.

وأخرجه أحمد ، (ج٥ ص٢٠٥) .

ويكفينا ذما لمثل هذا التصرف ما شبه الله به أصحابه فى كتابه ، فقد وصفهم بالحمير تارة وبالكلاب تارة أخرى ، وما ذلك إلا لأنهم صموا آذانهم عن الحق ، وأعموا أعينهم عنه ، رغم علمهم به ، ومعرفتهم الكاملة عنه.

قال تعالى: "**مثل الذين حملوا التوراة ثم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً**" (١).

وقال تعالى: " **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث** " (٢).

ومن هنا كان اهتمام الإسلام بموضوع القدوة الحسنة فى مجال الدعوة ، فلم تكن تعاليمه مجرد نظريات ، وإنما قام على ترجمتها فى أرض الواقع رسول الله ﷺ، فكان خلقه ﷺ القرآن ، وقال الله لنا فى حقه: " **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** " (٣)

وعلى هذا الدرب سار الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون من بعده ، فنراهم يؤكدون مراراً وتكراراً على أهمية الاعتناء بالقدوة فى مجال الدعوة.

يقول الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه: "**من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتهذيب نفسه قبل تهذيب غيره ، وليكن تهذيبه بسيرته قبل تهذيبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومهذبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومهذبهم** " (٤).

---

(١) سورة الجمعة- الآية٥ .
(٢) سورة الأعراف- الآيتان ١٧٥. ١٧٦
(٣) سورة الأحزاب- الآية٢١
(٤) نقلاً عن : الاستيعاب فى حياة الدعوة والدعاة – أ. فتحى يكن - ص ٨٨

ويقول الإمام الشافعي – رحمه الله– : " من وعظ أخاه بفعله كان هادياً "، ومن الحكم المشهورة في هذا المقام قولهم : " مقام رجل في ألف رجل ، خير من كلام ألف رجل في رجل ".

فما أجمل أن يترسم الداعية هذه الخطي ،ليكون على درب المصلحين من قبله من الأنبياء والمرسلين ، والذين قال الله في شأنهـــم : " **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** "(١).

(١) سورة الأنعام – الآية ٩٠

ثالثاً

طائفة من الأخلاق اللازمة للدعاة

الصفات التى يجب أن يتحلى بها الدعاة كثيرة ، وقد أفردت لها بحثاً مستقلاً بعنوان " **أخلاق الدعاة إلى الله تعالى النظرية والتطبيق** " وأشير هنا إلى بعض هذه الأخلاق بإيجاز.

(١) الصلة بالله تبارك وتعالى

يعد هذا الخلق الدعامة الأولى فى حياة الدعاة إلى الله تعالى:

- **ويرجع السبب فى ذلك إلى ما يلى:**

١ - أن الداعى إلى الله يهدف إلى تعريف الناس بربهم ، وتوثيق علاقتهم به ، فكيف يتأتى له ذلك إذا كان جاهلاً بالله ، واهى الصلة به.. إن فاقد الشئ لايعطيه ، ومن لا يملك نصاباً لا يزكى.

٢ - يضاف إلى هذا أن عبء الدعوة ثقيل تعجز قدرة المرء عن تحمله بمفرده، بل ويضيع جهده فيها ما لم يصحبه توفيق الله وعونه.

وفى الإشارة إلى الترابط بين هذين المعنيين يقول نبى الله شعيب: " إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله " [١]

- **ويقول الشاعر:**

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده

ولا يتأتى للمرء أن يصحبه توفيق الله ونصرته - **وبالتالى نجاحه** - ما لم يكن على صلة وثيقة بربه ، وعلاقة وطيدة بمولاه.

---

(١) سورة هود (٨٨)

● **يقول قتادة:**

" **من يتق الله يكن معه ، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التى لا تغلب ، والحارس الذى لا ينام ، والهادى الذى لا يضل** " (١).

ومن الإشارات القرآنية - كذلك - إلى أهمية الصلة بالله تعالى فى حياة الدعاة سورة المزمل ، وهى من أوائل ما نزل ، فقد أمر الله تعالى نبيه بقيام الليل ، وعلل ذلك بقوله " **إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً** " (٢) .. فلولا أن قيام الليل يعين على تحمل هذا القول الثقيل ما ربط الله بينهما ، وكذلك جاءت سورة المزمل مفتتحة بقوله تعالى : "**ياأيها المزمل . قم الليل**..... " ، وتلتها سورة المدثر مفتتحة بقوله تعالى " **يا أيها المدثر. قم فأنذر**... " ، فهو فى الليل قائم بين يدى الله يصلى ، وفى النهار قائم بين الناس يدعو وينذر ، والصلة بينهما واضحة ، ولا غنى للداعية بأحدهما عن الأخرى.

ونخلص من هذا إلى ضرورة حرص الدعاة على دوام صلتهم بخالقهم ، وصورة هذه الصلة تتمثل فى ألا يفقدهم الله حيث أمرهم من الطاعات ، وألا يراهم حيث نهاهم من المعاصى والسيئات ، وليكن قدوتهم فى ذلك سيد الدعاة ﷺ ، والذى قال عن نفسه : " **أما - والله - إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له** " (٣) ، وما ورد عنه ﷺ من اجتهاده فى قيام الليل حتى تورمت قدماه ، فقيل له : **غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخـــر**. قال: " **أفلا أكون عبداً شكوراً** ؟ " (٤)

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص٢٢٨) ابن رجب الحنبلى

(٢) سورة المزمل - الآية (٥)

(٣) اخرجه البخارى (ج٣ص٢٣٧) كتاب النكاح - باب الترغيب فى النكاح ، واخرجه مسلم بنحـــوه(ج٢- ص١٠٢٠) كتاب النكاح - باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة .

(٤) اخرجه البخارى - (ج٣- ص١٨٩) كتاب التفسير - سورة الفتح ، (ج١- ص٤٥٦)

وهكذا فى كل لون من ألوان الطاعة كان النبى ﷺ أسبق الناس إليه ، وأحرص الناس عليه ، فليكن هذا خلق الدعاة حتى يمدهم الله بمدد من عنده ، ويجعل لهم نوراً من نوره.

(٢) الإخـــــلاص

إذا وثق الداعية صلته بالله تعالى انبثق عن هذه الصلة مجموعة من الأخلاق تعد بمثابة النتيجة المترتبة عليها.

ويأتى الإخلاص فى مقدمة هذه الأخلاق ، ويقصد به فى هذا المقام (**تجريد الداعية وجهته فى عمله ودعوته من أى مطمع دنيوى ، وإيثار رضا الله تبارك وتعالى على من سواه**).

وتحقيق الداعية لهذا الخلق فى دعوته يرقى به إلى أرقى المراتب وأسمى الدرجات.

عن أحمد بن أبى الحوارى أن رجلا سأل أبا سليمان الدارانى فقال : " **يا أبا سليمان : ما أقرب ما يتقرب به العبد إلى الله** " ؟

فقال: " **أقرب ما تقرب به العبد إلى الله تعالى أن يطلع من قلبه على أنه لا يريد من الدنيا والآخرة إلا هو**" [١]

والإخلاص - بنص القرآن الكريم - هو الحماية القوية للإنسان من الوقوع فى حبائل الشيطان.

---

(١) صفة الصفوة(ج٤ - ص٢٣١) بتصرف - ابن الجوزى

قال تعالى : " **قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين**" (١).

● **وترجع أهمية الإخلاص إلى ما يلي:**

١ - أن قبول العمل عند الله تعالى منوط بالإخلاص فيه ، مصداقاً لقوله تعالى : " **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** " (٢)

وعن الفضيل بن عياض أنه قال في قوله تعالى : " **ليبلوكم أيكم أحسن عملا** " (٣) قال : أخلصه ، وأصوبه.

وقال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً وصواباً .

قال : والخالص إذا كان لله عز وجل ، والصواب إذا كان على السنة (٤)

فإذا فقد العمل شرط الإخلاص رد على صاحبه ، ففي الحديث القدسي: " أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه" (٥)

وثمت أحاديث أخرى كثيرة في معنى هذا الحديث ، ولكن - طلباً للاختصار- نكتفي به في الدلالة على المطلوب.

٢ - أن التفاضل بين العباد يوم القيامة مرده إلى درجة إخلاص كل منهم ، وليس إلى كم العبادة التي أداها.

يقول بعض العارفين : " **إنما تفاضلوا بالإرادات ، ولم يتفاضلوا بالصوم والصلاة** " (٦)

---

(١) سورة ص الآيتان (٨٢-٨٣)
(٢) سورة الكهف الآية (١١٠)
(٣) سورة الملك الآية (٢)
(٤) جامع العلوم والحكم (ص١٤)ابن رجب الحنبلي.
(٥) رواه مسلم(ج٤- ص٢٢٨٩) كتاب الزهد والرقائق-باب من أشرك في عمله غير الله/ ورواه ابن ماجة بنحوه(ج٢- ص١٤٠٥)كتاب الزهد- باب الرياء والسمعة.
(٦) جامع العلوم والحكم (ص١٤)

وتأييداً لهذا المعنى فإن السنة تشير إلى أن إخلاص النية يحقق لصاحبه ثواب العمل وإن لم يعمله ، ففى الحديث: " **من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح ، كتب له ما نوى ، وكان نومه صدقة عليه من ربه عز وجل**"[1].

هذا ، فى الوقت الذى تعلمنا فيه السنة أن العمل الظاهر الصلاح يتحول إلى جريمة تستجلب لصاحبها الويل إذا لوثته نية السوء.

وفى الحديث : " إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه : رجل استشهد ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال جرئ ، فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن .فأتى به فعرفه نعمه فعرفها.قال: فما عملت فيها ؟قال:تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال : كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال . عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها .قال: فما عملت فيها ؟قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، ثم ألقى فى النار" [2]

٣ - أن إخلاص العمل لله تعالى مدعاة إلى استصحاب سائر الخيرات، وتنقية للمرء من الشوائب والكدورات.

---

(١) رواه النسائى ، واللفظ له(ج٣-ص٢١٦) كتاب قيام الليل وتطوع النهار- باب من أتى فراشه وهو ينوى القيام فنام / ورواه ابن ماجة بنحوه (ج١-ص٤٢٧) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها-باب ماجاء فيمن نام عن حزبه من الليل/ وقال عنه المنذرى فى الترغيب والترهيب(ج١- ص٤٥) إسناده جيد.

(٢) رواه مسلم واللفظ له(ج٣- ص١٥١٣) كتاب الإمارة- باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ، ورواه النسائى (ج٦- ص٢٠) كتاب الجهاد - باب من قاتل ليقال فلان جرئ ، ورواه أحمد(ج٢- ص٣٢٢)

يقول الإمام الجنيد . رضى الله عنه: " **إن لله عباداً عقلوا ، فلما عقلوا عملوا ، فلما عملوا اخلصوا ، فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع** " (١)

هذا عن **الشق الأول** من الفائدة المنصوص عليها فى هذه النقطة.

وأما الشق الثانى من الفائدة فيستدل عليه بقوله ﷺ: " ثلاثة لا يغل(٢) عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ،ومناصحة أئمة المسلمين ، ولزوم جماعتهم فإن الدعوة تحيط من ورائهم " (٣)

قال ابن الأثير: " والمعنى: أن هذه الخلال الثلاث تستصلح بها القلوب ، فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والدغل (٤) والشر " (٥)

من أجل هذا- **وغيره**- ورد التأكيد على الإخلاص، وضرورة العناية به فى كثير من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ،بأسلوب صريح أحيانا وبأسلوب ضمنى أحيانا أخرى.

والأدلة -**بشقيها**- تدل على أهمية هذا الخلق للناس عامة ، والدعاة من باب أولى.

وباعتبار أن البحث يتناول أخلاق الدعاة ، فلنتناول أهميته للدعاة خاصة ، وذلك فى النقطة التالية :

---

(١) إحياء علوم الدين(ج١٤- ص٢٧١٢).

(٢) يغل: يجوز فيها ضم الياء وكسر الغين مع تشديد اللام على أنها من الإغلال ، وهو : الخيانة فى كل شئ. ويجوز فيها فتح الياء، على أنها من الغل ، وهو الحقد والشحناء ، ويجوز فيها تخفيف اللام. على أنها من الوغول ، وهو الدخول فى الشر.... راجع(النهاية فى غريب الحديث والأثر) (ج٣- ص٣٨١) . مادة : غلل.

(٣) أخرجه الترمذى (ج٥- ص٣٤) كتاب العلم- باب ما جاء فى الحث على تبليغ السماع ، وأخرجه ابن ماجة(ج١- ص٨٤) المقدمة-باب من بلغ علما .وأخرجه أحمد (ج٣- ص٢٢٥)

(٤) الدغل : الفساد. كذا فى مختار الصحاح - مادة دغل.

(٥) النهاية فى غريب الحديث والأثر(ج٣- ص٣٨١) مادة غلل.

- **أهمية الإخلاص للداعية ،وأمثلة عليه من حياة المخلصين منهم :**

إذا كان الإخلاص مطلبا من جميع المؤمنين ، وشرطاً من شروط قبول الله للعمل- **كما اتضح من النقاط السابقة**- فإن الدعاة إلى الله تعالى أحوج **الناس** إلى هذا الخلق من غيرهم ، لكونهم اختصوا بحمل أمانة العلم ، وشرفوا بالانتساب **إلى** القرآن.

أورد الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى : " **يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً** " [1].

أورد قول بعض الحكماء : " من أعطى العلم و القرآن ينبغي أن يعرف نفسه ، ولايتواضع لأهل الدنيا لأجل دنياهم ، فإنما أعطى أفضل ما أعطى أصحاب الدنيا ، لأن الله تعالى سمى الدنيا متاعاً قليلاً، فقال: **[قل متاع الدنيا قليل]**[2] ، وسمى العلم والقرآن خيرا كثيرا" [3].

وتقديرا من الدعاة إلى الله تعالى لأهمية هذا الخلق رأينا حرصهم عليه ، ورفضهم التنازل عن رضوان الله تعالى ، مهما كانت قيمة العوض الذي يحصلون عليه.

هذا ، وللإخلاص في حياة الدعاة مظاهر عديدة ، نجملها – مع أمثلة عليها – فيما يلي :

(١) ابتغاؤهم الأجر من الله تعالى وحده:

أ – فالرسل – **عليهم صلوات الله وسلامة**- تردد على لسان الكثيرين منهم : " **وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين** " [4]

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٦٩)
(٢) سورة النساء الآية(٧٧)
(٣) تفسير القرطبي (ص١١٣٩) طبعة دار الشعب.
(٤) سورة الشعراء الآيات (١٠٩- ١٢٧- ١٤٥- ١٦٤- ١٨٠) .

ب - **وروى عن الإمام الشافعي** الذى ملأ طباق الأرض علماً ، والذى قال عنه إمام أهل السنة ، الإمام أحمد : "مامس أحد بيد محبرة إلا وللشافعي - رحمه الله- في عنقه منه [١].. **روى عنه**- رضى الله عنه- أنه قال : " وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم ، وما نسب إلى شئ منه " [٢].

ج - **وروى أن عمر بن عبد العزيز** - رضى الله عنه- كان يقسم تفاحاً من الفئ ، فتناول ابن له صغير تفاحة ، فانتزعها من فيه ، فأوجعه ، فسعى إلى أمه مستعبراً [٣] ، فأرسلت إلى السوق فاشترت له تفاحاً ، فلما رجع عمر وجد رائحة التفاح ، فقال: يا فاطمة ! هل أتيت شيئا من هذا الفئ ؟ قالت : لا ، وقصت عليه القصة.

فقال : " والله لقد انتزعتها من ابنى لكأنما انتزعتها من قلبى ، ولكنى كرهت أن أضيع نصيبى من الله عز وجل بتفاحة من فئ المسلمين" [٤].

(٢) تعففهم عن قبول هدايا تلاميذهم ، وعن قيام أحدهم بخدمتهم:

أ - **فعن عطاء بن السائب قال** : كان رجل يقرأ على أبى عبد الرحمن السلمى ، فأهدى له تلميذه فرساً ، فردها وقال : ألا كان هذا قبل القراءة ؟[٥]

ب - **وعن حماد بن شعيب قال** : كان المنصور- وهو ابن المعتمر - لا يستعين بأحد يختلف إليه [٦] فى حاجة ، ولا يدع أحداً يمشى معه فى الطريق .يقول هو ذا أجلس إليكم" [٧].

---

(١) احياء علوم الدين (ج١- ص٤٥)

(٢) المرجع السابق (ج١- ص٤٥) وكذا فى (ج١- ص٥٣) المجموع شرح المهذب- الإمام النووى.

(٣) مستعبراً :أى يرسل عبراته على خده من البكاء.

(٤) العلم والعلماء (ص٢٦٢) أبو بكر الجزائرى

(٥) مع الرعيل الأول (ص٦٠) محب الدين الخطيب

(٦) يختلف اليه :يتردد عليه

(٧) الجامع لأخلاق الراوى ، وآداب السامع (ج١- ص٣٦٨) الخطيب البغدادى.

ج - **وأرسل عبد الله بن إدريس** رجلاً يسأل له عن سعر شئ ما ، فلما مضى رده ، وقال: لا تسل عنه ، فإنك تكتب منى الحديث ، وأنا أكره أن أسأل من يسمع منى الحديث حاجة [1]

(٣) حرصهم على الإسرار بالأعمال حتى لا تشوبها شائبة رياء أو سمعة:

أ - **فعن الأعمش قال** : " بكى حذيفة فى صلاته ، فلما فرغ التفت ، فإذا رجل خلفه فقال: لا تعلمن بهذا أحداً " [2]

ب - **وعن أبى بكر المروزى قال** : " كنت مع أبى عبد الله (يعنى الإمام أحمد بن حنبل) نحواً من أربعة أشهر ، فكان لا يدع قيام الليل ، وقراءة النهار ، فما علمت بختمة ختمها، كان يسر ذلك " [3]

ج - **ويروى أن إبراهيم النخعى** – رضى الله عنه – " كان إذا دخل عليه رجل وهو يقرأ فى المصحف غطاه" [4]

ونكتفى بهذا القدر من الأمثلة على حرص السلف الصالح على الإسرار بالأعمال، مؤكدين على أن هؤلاء الرجال ما كان يدفعهم إلى مثل هذا السلوك سوى رغبتهم فى إخلاص العمل لله وحده ، وعدم النظر إلى شئ آخر سواه ،حتى قال أحدهم – وهو يعقوب المكفوف– : " **المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته**" [5]

---

(١) المرجع السابق (ج١- ص٣٦٩) بتصرف

(٢) صفة الصفوة (ج١- ص٦١٤) ابن الجوزى

(٣) المرجع السابق(ج٢- ص٣٣٩) بتصرف يسير.

(٤) جامع البيان شرح حديث مازئبان جائعان(ص٢٨) ابن رجب الحنبلى

(٥) إحياء علوم الدين (ج١٤- ص٢٧١١)

هذا إذا لم يكن هدف الداعية من إظهار عمله أن يتعرف على عمله الناس فيقتدوا به ، ويسلكوا مسلكه ، فحينئذ يجوز إظهار العمل ، **مع مراعاة شيئين** :

١ - أن يظهر الداعية عمله حيث يعلم أن أحداً يقتدى به.

٢ - أن يراقب قلبه ، بحيث لا يخدعه الشيطان فيسول له أنه يظهر العمل ليقتدى به، بينما ينطوى قلبه - فى الحقيقة - على حب التجمل بالعمل ، وبكونه يقتدى به[١].

فإذا لم يجد الداعية من نفسه القوة على ذلك فالإخفاء للأعمال فى حقه واجب.

* **الدعاة إلى الله تعالى بين إخلاص العمل لله ، وابتغاء الدنيا بعمل الآخرة:**

فى الوقت الذى حثت فيه الشريعة على تحرى الإخلاص فى كافة الأعمال- **كما اتضح لنا من النصوص السابقة** - حذرت من استخدام الدين ، وتطويع مبادئه لتحقيق منافع دنيوية ، مبينة أن من يصنع ذلك فقد باء بالخسران ، وعرض نفسه لمقت الله وغضبه.

وفى الحديث: " بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين فى الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة نصيب"[٢]

وفى حديث آخر : " من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا [٣] من الدنيا ، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" يعنى ريحها[٤].

ولكون الدعوة قد جاءت - **فى الأصل**- للارتقاء بالناس نحو منهج الله تعالى ، فإذا استغلها البعض لتحقيق أهداف دنيوية خسيسة فإنها- **والحال هكذا**- تصبح انتكاسا بصاحبها ، ورجوعاً به إلى وراء الوراء " .

---

(١) أنظر المرجع السابق (ج١٠ - ص١٨٩٩: ص١٩٠٣)

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده (ج٥- ص١٣٤) وقال عنه الهيثمى فى مجمع الزوائد(ج١٠- ص٢٢٠) رواه أحمد وابنه من طرق ، ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٣) عرضا : قال فى النهاية :العرض بالتحريك : متاع الدنيا وحطامها (ج٣- ص٢١٤) مادة : عرض

(٤) رواه ابو داود ، وسكت عنه(ج٢- ص٣١٦) كتاب العلم - باب فى طلب العلم لغير الله . ورواه ابن ماجة(ج١- ص٩٣) المقدمة - باب الانتفاع بالعلم والعمل به ، ورواه أحمد (ج٢- ص٣٣٨)

يقول أبو حامد الغزالى : " من طلب العلم بالمال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه ، فجعل المخدوم خادماً ، والخادم مخدوماً " (١)

وسئل ابن المبارك:

من النـــــــاس ؟.....فقال: العلماء

قيل : فمن الملوك ؟...قال : الزهاد

قيل : فمن السلفة ؟..... قال : الذين يأكلون الدنيا بالدين (٢)

من أجل ذلك رأينا الدعاة المخلصين يرفضون أن تكون دعوتهم سبيلاً إلى تحقيق غايات دنيوية ، أو طريقاً إلى اكتساب منافع عاجلة.

يقول الفضيل بن عياض- رضى الله عنه- : " لأن أطلب الدنيا بطبل ومزمار أحب إلى من أن أطلبها بالعبادة " (٣)

ومن الأقوال التى ذكرت فى التفسير فى قصة نبى الله موسى عليه السلام " أنه عندما ورد على الرجل الصالح فى مدين وقدم إليه العشاء ليأكل ، تراجع – عليه السلام – فقال له الرجل الصالح : أما أنت جائع ؟ قال : بلى ، ولكن أخاف أن يكـــون هذا عوضاً لما سقيت لهما ، وإنا من أهل بيت لا نبيع شيئاً من ديننا بملء الأرض ذهبا.." (٤)

---

(١) احياء علوم الدين (ج١- ص٩٤)

(٢) المرجع السابق (ج١- ص١٣)

(٣) صفة الصفوة(ج١- ص٢٤٢)

(٤) أنظر تفسير القرطبى (ج٧- ص٤٩٨٧) - سورة القصص.

فليأخذ الداعية من هذه النماذج ما يحمله على مرضات الله تبارك وتعالى ، وألا يحمله طمع فى دنيا أو رغبة فى ثناء الناس عليه أن يتنازل عن هذه الغاية السامية ، والتى تواصى رسل الله من أجل العمل بها ، وتضمنتها كتب الله المنزلة عليهم ، وصدق الله القائل: " **بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى . إن هذا لفى الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى** " (١)

(٣) الشجاعة وقوة النفس

يتحرك الداعية فى هذه الحياة وهو على يقين بأن دعوة الإسلام حق لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، وأن سائر المبادئ المقطوعة الصلة بالله باطلة لاريب في ذلك .

ويترتب على هذه الحقيقة المركوزة فى نفس كل داعية مسلم أن الحق يجب أن يسود ، وأن الباطل يجب أن يموت ، عملاً بقوله تعالى: " **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** " (٢) وقوله عز من قائل: " **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** " (٣)

ولكى يحقق الدعاة هذا الهدف العظيم فإن من الواجب عليهم أن يفوق تحمسهم للحق ودعوة الآخرين إليه تحمس أهل الباطل لباطلهم والتفافهم حول رايته.

ولا يتأتى هذا الأمر للدعاة ما لم يكونوا موصوفين بالشجاعة والجرأة فى مواجهة الصعاب - **التى ولابد ستعترضهم** - وألا تأخذهم فى الله لومة لائم، حتى تجد كلمة الحق طريقها إلى الجميع.

من أجل ذلك كانت الشجاعة صفة أساسية من صفات الداعية ، وخلقاً لا ينفك عنه وهو يقوم برسالته فى هذه الحياة.

---

(١) سورة الأعلى - الآيات (١٦ - ١٩)
(٢) سورة الأنفال الآية(٣٩)
(٣) سورة التوبة الآية (٣٣) وسورة الصف الآية (٩)

* أهمية الشجاعة فى سلوك الدعاة ، وأمثلة عليها من حياتهم:

تتضح أهمية الشجاعة فى سلوك الدعاة من خلال ملاحظة ما يلى:

١ - أن أعباء الدعوة ومسئولياتها عظيمة جليلة ، ومن ثم لا يستطيعها المهازيل.

يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالى: " الدعاة الموظفون لحراسة الإسلام هم جيش للدفاع عن الإيمان ، يشبه الجيش الموكل بحراسة الأمن.. فإذا لم يكن الداعية المسلم شجاعا ، مطيقا لأعباء رسالته ،سريعا إلى تلبية ندائها ، جريئا على المبطلين ، مغوارا فى ساحاتهم ، فخير له أن ينسحب من هذا المجال ، وألا يفضح الإسلام بتكلف ما لا يحسن من شئونه" (١).

من أجل ذلك رأينا سيد الدعاة ﷺ يربى أصحابه على هذا المنهج ، منهج الدعوة إلى الإسلام مع الاتصاف بالثبات ورباطة الجأش.

فعن عبادة بن الصامت- رضى الله عنه - قال : " بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى المنشط والمكره ، وألا ننازع الأمر أهله ، وأن نقوم - أو نقول- بالحق حيثما كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم " (٢)

والشاهد فى الحديث أن النبى ﷺ لم يكتف فى توجيهه بالإشارة إلى القيام بالحق أو القول به وفقط ، وإنما أضاف ضرورة الجمع بين هذا وبين التمسك بالحق فى مواجهة اللائمين والمثبطين.

---

(١) مع الله - دراسات فى الدعوة والدعاة (ص ٢١١)

(٢) أخرجه البخارى (ج٤- ص٢٤٥) كتاب الأحكام-باب كيف يبايع الإمام الناس، وأخرجه مسلم بنحوه (ج٣ - ص١٤٧٠) كتاب الإمارة-باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية ، وتحريمها فى المعصية ، وأخرجه النسائى (ج٤- ص١٢٤) كتاب البيعة-باب البيعة على السمع والطاعة ، وأخرجه ابن ماجه (ج٢- ص٩٥٧) كتاب الجهاد- باب البيعة ، وأخرجه أحمد (ج٥- ص٣١٤)

٢ - أن الشجاعة تلازم الصدق ، فبقدر ما يكون الداعية صادقاً يكون شجاعا.

فإن استعاض الداعية عن الشجاعة والجرأة بالمداهنة والتملق للآخرين ، دل ذلك على قلة صدقه أو عدمه ، وبالتالى قلة الفائدة منه.

عن سهل بن عبد الله التسترى قال: " لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره " [١].

ويقول فضيلة الشيخ محمد الغزالى : " هناك رجال يبنون وجاهتهم فى المجتمع العام على الارتباط بتقاليده كلها أو جلها ، فلو نشأوا فى بلد يعبد الأصنام لحسبوا من متممات كرامتهم الخاصة أن يسارعوا إلى تقديم القرابين لها .

وهذا الصنف من الناس سدنة كل عرف شائع ، أو قانون قائم ، فهم يحترمون الأوضاع المقررة من قبل ، لأنها مقررة من قبل فحسب.

وهؤلاء لا يصلحون للسير فى موكب الإصلاح أبداً ، بل هم عقبات كل إصلاح" [٢]

من أجل هذا - وغيره- أكدت السنة النبوية على ضرورة اتصاف المرء المسلم بالشجاعة فى قول الحق ، ففى الحديث **عن أبى سعيد الخدرى**- رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قام خطيبا فكان فيما قال : " **ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه**" [٣]

---

(١) المجموع شرح المهذب(ج١- ص٣٧)

(٢) فى موكب الدعوة(ص٦) بتصرف يسير - طبعة رابعة سنة ١٩٦٥- دار الكتب الحديثة.

(٣) أخرجه ابن ماجه ، واللفظ له (ج٢ - ص١٣٢٨) كتاب الفتن-باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأخرجه الترمذى ضمن حديث طويل ، وقال عنه : حديث حسن صحيح(ج٤- ص٤٨٣) كتاب الفتن- باب ما جاء فيما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كائن الى يوم القيامة، وأخرجه أحمد (ج٣- ص١)

وفى رواية أخرى **عن أبى سعيد أيضاً قال** : قال رسول الله ﷺ : " لا يحقر أحدكم نفسه. قالوا يا رسول الله : كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أمراً لله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه. فيقول الله عز وجل له يوم القيامة : ما منعك أن تقول فيّ كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس. فيقول : فإياى كنت أحق أن تخشى" [1]

وتدل كلمات سلف الأمة الصالح- رضوان الله عليهم- أن العبد الذى تحمله هيبة الناس على كتمان الحق لينال عندهم حظوة يجازى بعكس مقصوده فتنزع هيبة الله منه .

يقول عبد الله بن عبد العزيز العمرى: "من ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من مخافة المخلوقين نزعت منه هيبة الله تعالى ، فلو أمر بعض ولده أو بعض مواليه لا ستخف به " [2]

من هنا حرص الدعاة إلى الله تعالى على خلق الشجاعة ، ومواجهة الباطل دون تخاذل أو تراجع.

وحتى يتضح المقال بالمثال ، ويتأيد الكلام المجرد بشواهد الواقع أسوق هذا المثال من حياة النبى المصطفى ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن ماجة (ج٢ - ص١٣٢٨) كتاب الفتن - باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وقال عنه البوصيرى فى الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات ، وأخرجه أحمد (ج٣ - ص٣٠)

(٢) صفة الصفوة(ج٢ - ص١٨١) .

أورد ابن هشام في السيرة : " أن قريشا لما أهمهم أمر النبى ﷺ ذهبوا إلى عمه أبى طالب ذات يوم وقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين ، ثم انصرفوا عنه ".

وحينئذ بعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ وقال له : " يا ابن أخى : إن قومك قد جاءوا فقالوا لى كذا وكذا ، فأبق علىّ وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق"

وحينئذ نطق النبى ﷺ بعبارته المشهورة " يا عم ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ، حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته " (١)

وحفظ هذا الموقف الشجاع من رسول الله ﷺ - وغيره من المواقف - دعوة الإسلام من أن تتقاذفها الأهواء ، حتى أتم الله نعمته ، وأكمل دينه ، وعم خيره على العالمين.

وعلى الداعية فى هذا المقام أن يفرق بين الشجاعة والتهور. فالشجاعة تعنى الصلابة فى المواقف التى تستأهل ، والاستعداد للتضحية فيما هو نافع ، أما التهور فهو الاستعداد للتضحية بلا ضرورة أو منفعة ، والشجاعة - كذلك- لاتعنى السب والشتم والإيذاء . فهذه أمور يرقى الداعية بمستواه عن الاتصاف بها ، عملاً بقوله تعالى: " **وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن** " (٢) وقوله ﷺ: " ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذى " (٣)

---

(١) سيرة ابن هشام (ج١- ص٢٦٨) بتصرف يسير

(١) سورة الاسراء الآية(٥٣)

(٢) اخرجه الترمذى وحسنه (ج٤- ص٣٥٠) كتاب البر والصلة - باب ما جاء فى اللعنة / واخرجه أحمد (ج١ - ص٤١٦)

والشجاعة - كذلك - لا تعنى الغلظة والقسوة ، فالشجاعة أن تقول الحق ولو كان مرا مع مراعاة سائر الآداب المطلوبة فى الدعوة من كونها بالحكمة والموعظة الحسنة ، فى حين أن الغلظة تعنى أن توجه من تريد توجيهه بالجفاء والفظاظة والشدة ، مما يجعل المدعو يصر على مزيد من العناد والإنكار، وصدق الله إذ يقول: " **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك** " (١)

فإذا استلزمت بعض المواقف من الداعية أن يشتد على من يدعوه - لعلمه أن المصلحة فى ذلك - فينبغى مراعاة أن ذلك لا يصلح فى جميع الأوقات ، ولا ينفع مع كل الناس ، وكذلك ينبغى ألا يتجاوز الداعية حدود الحكمة حتى لا ينهى عن منكر فيقع فيما هو أشد ، ويؤدى ذلك إلى حدوث فتنة.

(٤) الصبر والتضحيـــــة

تحتاج أى قضية من القضايا أو مبدأ من المبادئ - للحصول على ثمرة مرجوة فيه- أن يصبر صاحبه عليه، ويتحمل فى سبيله المشاق ، فلا يتصور غنم لا غرم معه.

والدعوة إلى الله تعالى- كأى قضية من القضايا- تحتاج من أصحابها إلى البذل والتضحية ، والصبر على ملاقاة المكاره فى سبيلها ، وإلا صار الداعى كمن يحرث فى ماء ، أو ينفخ فى هواء.

من أجل هذا كان اتصاف الداعية فى سلوكه بالصبر على ملاقاة الصعاب ، والاستعداد للتضحية أمراً لا مناص منه لكل من أراد التوفيق والسداد فى دعوته إلى الله.

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٥٩)

• أهمية هذه الصفة في حياة الدعاة ، وأمثلة عليها من حياتهم

ترجع أهمية هذه الصفة في حياة الدعاة إلى عدة عوامل تلخصها فيما يلي :

١ - أن الناس تأنس بالدعاة ، وترى فيهم الإنقاذ والخلاص من كثير مما ينـوبهم ، ولذا يلجأون إليهم سائلين ، ويفصحون لهم عن دواخلهم شاكين ، على أمـل أن يجدوا لديهم ما يزيل همومهم ، ويعيد الطمأنينة إلى نفوسهم.

ويستلزم ذلك أن يكثر المترددون على بيت الداعية ، والمقتحمون عليه أوقـات راحته ، وكلٌ من هؤلاء يرى أن حاجته أهم شئ في الكون ، وأن على الداعيـة أن يصغى له وينصت ولو على حساب الآخرين.

وإزاء هذا لابد للداعية من التحلى بالصبر ، والتجمل بطول البـال حتـى تـؤتى الدعوة ثمرتها ، وتحقق رسالتها.

٢ - أن الداعية سيواجه جيوشاً جرارة من أصحاب العقائد الباطلة تتفانى في سـبيل إقرارها ودعوة الناس إليها ، وتبذل في سبيل ذلك المليارات في كل يوم.

فإذا طمع الداعية في التغلب على أولئك المفسدين من غير بـذل مـن مالـه ووقته وجهده فقد أعرب عن فشله ، وذهبت جهوده سدى.

يقول الدكتور يحيى إسماعيل في كتابه " في موكب الصبر وصحبة الصابرين " [١] :

" الذى يحمـل هدى الله للدنيا وما فيها ما لم يكـن له حظ من الصبر يفـوق حـظ المتربصين به المعاندين له كان عمله في الناس شبيها بالمصل الضعيف أمام الجراثيم المدمرة ، لايلبث أمامها طويلاً حتى تأتى عليه " أ.هـ

(١) المرجع المذكور ص٢٩ - دار التوزيع والنشر الاسلامية - عدد رقم ٥ من سلسلة نحو النور.

ومن الضرورى أيضاً ألا تعجب جهود الدعاة أصحاب هذه العقائد الباطلة أو من يتأثر بهم ، فتبدأ المضايقات والمناوشات للدعاة ، مما يترتب عليه تعرضهم للأذى أحياناً ، وملاقاتهم للمكاره فى سبيل إحقاق الحق.

ويستلزم هذا من الداعية أن يوطن نفسه على تحمل مثل هذه المكاره ، والتى أشار القرآن الكريم إلى أنها قرينة التمسك بالحق والدعوة إليه ، فقال تعالى على لسان لقمان الحكيم: " **يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك**"[1].

يقول الإمام ابن كثير فى تفسيره لهه الآية : " **علم أن الأمر بالمعروف والناهى عن المنكر لابد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر**" [2]

وقال تعالى : " **لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور**" [3]

والشاهد فى الآية الكريمة أن الله تعالى قد أكد على وقوع الأذى بالمؤمنين بقوله: " **لتبلون...**" فأدخل على الجملة لام التوكيد ونونه ، واستدعى ذلك أن يدعوهم فى عقب هذا الخبر إلى التحلى بالصبر ، والتخلى عن الجزع.

من أجل هذا – وغيره- ورد الأمر بالصبر ، وبيان ما أعده الله للصابرين فى كثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى الأمين ﷺ وكلمات الأئمة ، مما لا يتسع المجال لذكره كله ، ومن ثم نكتفى بالإشارة إلى بعضها.

---

(١) سورة لقمان الآية (١٧)

(٢) تفسير ابن كثير (ج ٣ – ص٤٤٦)

(٣) سورة آل عمران الآية (١٨٦)

ففى بيان الثواب المعد للصابرين عند الله تعالى يقول الله فى كتابه: " **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** " (١)

وفى بيان منزلة الصبر بين سائر خصال الإيمان يقول النبى ﷺ: " **ما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر** " (٢)

ويقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه : " **الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا خير فى جسد لا رأس له** " (٣)

وحتى يتضح المقال بالمثال أسوق إليك – أخى الداعية–هذه الأمثلة التى تدل على الابتلاء والتمحيص للدعاة إلى الله على مدى التاريخ الإنسانى

١ – ونبدأ ذلك بالحديث عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم :

أ – فقد تعرض بعضهم للقتل بأيدى الظلمة والعتاة و وسجل ذلك ربنا فى كتابه فقال : " **إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم** " (٤).. وفى أثر عن ابن مسعود – رضى الله عنه – تاكيداً على هذا المعنى يقول : " **قتلت بنو إسرائيل ثلاثمائة نبى من أول النهار ، وأقاموا سوق بقلهم من آخره** " (٥)

---

(١) سورة الزمر الآية (١٠)

(٢) أخرجه البخارى (ج١ – ص٢٥٧) كتاب الزكاة- باب الاستعفاف عن المسألة . وأخرجه مسلم (ج٢ص٧٢٩) كتاب الزكاة- باب فضل التعفف والصبر . وأخرجه أبو داود (ج١ – ص٤١٧) كتاب الزكاة-باب فى الاستعفاف . وأخرجه الترمذى (ج٤ – ص٣٧٤) كتاب البر والصلة-باب ما جاء فى الصبر . وأخرجه النسائى (ج٥ – ص٧١) كتاب الزكاة- باب الاستعفاف عن المسألة . وأخرجه احمد (ج٣ – ص٩٣)

(٣) صفة الصفوة (ج١ – ص ٣٢٦)

(٤) سورة ال عمران الآية (٢١)

(٥) تفسير ابن كثير(ج١ – ص٣٥٥)

ب - كذلك تعرض الأنبياء للأذى المادى مما هو دون القتل ، فألقى الخليل - عليه السلام - فى النار، ورمى نوح -عليه السلام- بالضلالة ، وهود- عليه السلام- بالسفاهة ، وأدميت عقب الحبيب المصطفى ﷺ من أثار الضرب حال عودته من الطائف ، ولم يتمكن من دخول بلده حينئذ إلا فى جوار المطعم بن عدى أحد المشركين.

وتدل آيات القرآن الكريم على أن تعرُّض الأنبياء للأذى قدر مشترك بينهم جميعاً ، فقال تعالى: " **وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين** " (١)

٢- ويستمر الابتلاء والتمحيص للفئات المؤمنة من غير الأنبياء ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا.

وإليك - أخى الداعية - هذه الأمثلة من واقع أصحاب النبى محمد ﷺ :

أ - **يقول ابن إسحاق** فى السيرة : " إن قريشاً تذامروا بينهم على من فى القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم " (٢)

---

(١) سورة الفرقان الآية (٣١)

(٢) سيرة ابن هشام - (ج١ - ص ٢٠٧)

٣- ويستمر الابتلاء فى حياة سلف الأمة الصالح من غير الصحابة ، فما لانت لهم قناة ، ولا بدا منهم عجز ، بل ثبات على الحق ، وقوة فى اليقين.

وإليك - أخى الداعية- هذين المثلين من حياة عالمين جليلين لا يزال الناس يغترفون من علمهما وفضلهما إلى يومنا هذا ، وهما : الإمام أحمد بن حنبل ، والإمام ابن تيمية.

أ - لقد تعرض **الإمام أحمد بن حنبل** لفتنة أثارها المعتزلة فى عصره: وهى فتنة القول بخلق القرآن وشايعهم فى هذا بعض الملوك والأمراء من بنى العباس، وأنزلوا البلاء بكل من يقول بخلاف قولهم.

وقد تمسك الإمام أحمد باعتقاد أهل السنة فى القول بأن القرآن كلام الله ، وصفات الله قديمة ، فهو غير مخلوق.. وعرّضه ذلك للأذى والابتلاء فما وهن وماضعف.

يقول أحمد بن داود أبو سعيد الواسطى : " دخلت على أحمد الحبس قبل الضرب، فقلت له فى بعض كلامى : يا ابا عبد الله : عليك عيال ، ولك صبيان ، وأنت معذور.. كأنى أسهل عليه الإجابة " .

فقال لى أحمد بن حنبل : إن كان هذا عقلك يا أبا سعيد فقد استرحت [١]

وتدل كلمات الإمام أحمد على أن نصرة الدين تحتاج من المرء إلى صبر وتضحية ، وأن من أصابه الجبن والخور فقد استراح من تحمل عبء هذه الدعوة ، ولكنه فقد - فى مقابل ذلك- عز الدنيا، وسعادة الآخرة.

(١) طبقات الحنابلة (ج١ص٢٣) ابن أبى يعلى

ب - **وننتقل إلى شيخ الإسلام ابن تيمية** : وما تعرض له من إيذاء يتمثل في السجن الطويل الأمد ، فما أظهر شكاية ولكن تسليم كامل ، وانشراح صدر بما هو فيه من طاعة الله ، كما يدل على ذلك هذا الموقف.

يقول الإمام ابن القيم تلميذه : " سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول : " إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة " . وقال لي مرة: " ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني في صدري ، إن رحت فهي معي لا تفارقني . إن حبسي خلوة ، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة "...وقال لي مرة : " المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى ، والمأسور من أسره هواه" ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال : " فضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب " ، وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها ، ومع ماكان فيه من الحبس والتهديد والارهاق ، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً ، وأقواهم قلباً ، وأسرّهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه " [1]

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب(ص٤٤-ص٤٥)

• أخي الداعية:

ويطول الكلام عن تضحيات الدعاة من أجل الدعوة التى وهبوها أرواحهم، وبذلوا لها النفس والنفيس فى سبيل علو كلمتها ورفعة رايتها ، وهم على يقين بأن ظلمة الليل لابد أن تنجلى ، وانفاس الباطل لابد وأن تنتهى ، وصدق الله إذ يقول: " **ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون** " (١)

ومن المهم فى هذا المجال ألا يتصور الداعية أن الصبر لا يعنى الخنوع والاستسلام ، فحاشا لله تعالى أن يوصى الرسل والمؤمنين بشئ فيه ذلة واستكانة،أو خنوع واستسلام.

إن الصبر يعنى ألا يضيق المرء ذرعاً بما يواجه دعوته من عقبات، بل عليه أن يستقبل الشدائد بالرضا والتسليم ، وأن يبقى على مدى الأيام صلب المراس، فلا تلين له قناة ، ولا يفتر له عزم.

وعليه- إلى جانب ذلك - أن يتعامل مع الشدائد بكياسة المؤمن وفطنته، فإذا رأى عقبة فى طريق دار حولها ومضى إلى ما خلفها ، وأثبت ذاته ووجوده فى مجالات لا حرج عليه من العمل فى دائرتها.

يقول أستاذنا البهى الخولى فى كتابه " تذكرة الدعاة " (٢) : " اعلم أن مثل الداعية القوى المؤمن كمثل السيل المنحدر من شواهق الجبال..فيه منه قوة الاندفاع ، وفيه منه للناس سر الانتفاع، ولكن السيل لا يعجل إلى العقبات أو الهضاب فيمزقها، بل يدور حولها ويحيط بأطرافها ، ويمضى الى ما خلفها، ويتركها معزولة عما عداها، ثم يعلو ماؤه، ويغزر فيضه، فيرتفع على جوانبها بالتدريج حتى يغطى قممها ، ويخضع لسلطانه رءوسها الشامخة.

---

(١) سورة الروم - الايات(٥٨-٦٠)

(٢) المرجع المذكور ص٢٥٣ بتصرف يسير . وانظر ايضا نفس المرجع ص٢٦٦:٢٦٨

فرسالتك- أيها الداعية- قد نزلت من السماء لا من الجبل ، وأنت سر اندفاعها وانتفاع قلبك بها، وأنت الذى يجب أن تسبح بدعوتك فى كل مكان، فإذا صادفتك عقبة من قانون عتيد، أو شخصية طاغية ، فلا تعرض لها بغير ما يعرض لها السيل، ادعها بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولا تقف عندها فذلك خرق وجهل . بل افعل ما يفعل السيل ، در حولها ، وامض فى سبيلك إلى ما وراءها ، وادع الناس إلى جانبك حتى تغدو منعزلة عما عداها ، ويقنعها الواقع بقوة أمر الله ، أو يغيبها أمر الله عن الأنظار' أ.هـ

ومما يؤيد هذا من مأثور الحكمة قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه:- ' كن فى الفتنة كابن اللبون، لا ضرع فيحلب ، ولا ظهر فيركب '

فما أكثر المجالات التى تهتف بالداعية ليبنى فيها لبنة ، أو يسد فيها ثغرة. فلتبادر - أخى الداعية- إلى العمل الدءوب لأجل الدعوة ، التى لم يكن لنا - ولن يكون - وزن عند الله إلا بها ، والتضحية فى سبيلها.

(٥) الرفق والتيسير

يحرص الداعية على أن تهيمن الدعوة على تصرفات الناس ، وتحكم سلوكهم، فليس هدفه - فقط - أن يدخل الناس فى الإسلام بالنطق بالشهادتين ، وإنما يهدف إلى أن يدخل الإسلام فى الناس ، بحيث يرى الإسلام فى سلوكهم شكلاً ومضمونا، وأقوالاً وأفعالاً.

وإزاء هذا الواجب الضخم سيواجه الداعية صنوفاً شتى من الناس ، وأخلاقا متنوعة من فئات المجتمع.

ولكى ينجح الداعية فى التعامل مع شتى الطبقات وتحت كافة الظروف ، فلابد من التحلى بالرفق فى الدعوة إلى الله ، وأن يتصف - فى تعامله- بلين الجانب ، وسهولة المعاشرة ، حتى يفتح- لدعوته - مغاليق القلوب ، وينفذ - بنصحه- إلى أعماق النفوس.

ومن هنا كان اتصاف الداعية بالرفق والتيسير فى دعوته إلى الله شيئا أساسيا فى سلوكه إذا أراد السداد والصواب.

- **أهمية هذه الصفة فى حياة الدعاة ، وأمثلة عليها من حياتهم:**

تتضح أهمية هذه الصفة فى حياة الدعاة من خلال ملاحظة ما يأتى:

١ - أن الداعية يبغى بدعوته هداية الناس إلى طاعة الله ، واستنقاذهم مما يسخطه ويغضبه، وليس الأمر - بالنسبة له- مجرد أداء الواجب لتقوم الحجة على الناس وفقط.

ولا يتسنى للداعية أن يقوم بهذا الدور إلا إذا اتصف بالحلم وطول النفس ، والتزم الرفق ولين الجانب.

يقول الأستاذ فتحى يكن: " الداعية لا تكون دعوته بحمل الأفكار والنظريات المجردة إلى من حوله : قبلوها أم رفضوها ، وإنما أن يعيش هذه الأفكار معهم ، ويترجمها لهم على أرض الواقع أفعالاً وأخلاقاً وممارسات.

والداعية لا تكون دعوته بمفاصلة الناس وإقامة الحجة عليهم ، وإنما بأخذ كافة الأسباب التى تؤدى إلى هدايتهم.

فهو من موقع الحب لهم ، والغيرة عليهم ، والرحمة بهم يكابد من أجل استنقاذهم من حمأة الجاهلية وشقوتها إلى نعيم الإسلام ، ولذلك فهو لا يسارع إلى مدابرتهم ومقاطعتهم ومفاصلتهم ، وهذا كله يحتاج منه إلى حلم ورفق.

ان على الداعية أن يعتبر نفسه مربيا للناس ومعلما لهم ، وإن عليه-ليكون ناجحا فى تربيته وتعليمه- ألا يعاملهم كأنداد ، وألا يتعامل معهم كند ، وهو إن فعل ذلك أصبح مثلهم، وفقد عنصر القوامة عليهم" [1] أ.هـ

---

(١) الاستيعاب فى حياة الدعوة والداعية (ص٣٤)

٢- أن الله تعالى فطر الناس على قبول الحق والتفافهم حول صاحبه ، وبخاصة إذا كان على علم ومعرفة وفيرين.

روى الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: " ما ازداد عبد علما إلا ازداد الناس منه قربا رحمة من الله تعالى "(١).

فإذا امتن الله تعالى على الداعية بالتفاف الناس حوله ، ثم وجدوه غليظ القلب، سيئ المعاملة لا نفضوا من حوله ، وتركوه يستأنس بالتثاؤب ويركن إلى البطالة.

من أجل هذا - وغيره- حثت الشريعة على ضرورة الاتصاف بهذا الخلق ليكون التوفيق والسداد بإذن الله.

وأول ما يطالعنا في هذا المقام قول الله تعالى لسيد الدعاة ﷺ: " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك "(٢)

وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: " يا عائشة : إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على ما سواه "(٣).

وعنها أيضاً: أنه ﷺ قال : " إن الرفق لا يكون في شئ إلا زانه ، ولا ينزع من شئ إلا شانه "(٤) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) حلية الأولياء : (ج ٦ - ص٧٤)

(٢) سورة آل عمران الآية (١٥٩)

(٣) أخرجه مسلم (ج٤ - ص٢٠٠٤) كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل الرفق. وأخرجه أبو داود (ج٢ - ص٦٠٥) كتاب الأدب - باب في الرفق. وأخرجه ابن ماجة (ج٢ - ص١٢١٦) كتاب الأدب - باب الرفق، وأخرجه أحمد (ج١ - ص١١٢)

(٤) أخرجه مسلم (ج٤ - ص٢٠٠٤) كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل الرفق ، وأخرجه أبو داود (ج٢ - ص٣) كتاب الجهاد - باب ما جاء في الهجرة وسكنى البدو ، وأخرجه أحمد (ج٦ - ص٥٨).

ومن أقوال سلف الأمة الصالح نختار هذه الأقوال:

يقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه: " ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه؟ قالوا : بلى.

قال : "من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله ، ولم يؤمنهم من مكر الله... " (١)

ومن مأثور الحكمة : " ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف ، ونهيك عن المنكر غير منكر " (٢)

- **وعن عثمان بن طالوت قال : سمعت الأصمعي ينشد:**

ولم أر مثل الرفق فى أمره — أخرج للعذراء من خدرها
من يستعن بالرفق فى أمره — قد يخرج الحية من جحرها (٣)

وقال أعرابى : " من لانت كلمته وجبت محبته " (٤)

وحتى يتأيد الكلام بشواهد الواقع أسوق إليك – أخى الداعية- هذه الأمثلة:

١ - **عن أبى أمامه رضى الله عنه: أن فتى شاباً أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله : " إئذن لى بالزنا ؟ فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه**(٥)

---

(١) جامع بيان العلم وفضله(ج٢ - ص٥٥)
(٢) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر(ص٩) الإمام ابن تيمية
(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع (ج١ - ص٢٠٩)
(٤) نفس المرجع (ج١ - ص٣٥٠)
(٥) مه: اسم فعل أمر بمعنى: اكفف.

فقال : ادنه ، فدنا منه قريبا ، قال: فجلس . قال: أتحبه لأمك ؟ قال:لا والله ، جعلنى الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم . قال : أفتحبه لابنتك ؟ قال: لا والله يا رسول الله ، جعلنى الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أفتحبه لعمتك ؟ قال: لا والله، جعلنى الله فداءك. قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أفتحبه لخالتك: قال : لا والله جعلنى الله فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم.

قال : فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شئ" [1]

هذا ، وتزخر السنة بالكثير من مواقف النبى ﷺ التى استعمل فيها الرفق فلانت له القلوب، واستجابت له النفوس حتى أمكنه أن يصل بالهدى إليها.

ولولا خشية الإطالة لأتيت بها جميعا، وصدق الله إذ يقول فى صفته ﷺ : " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم " [2]

٢ - أورد أبو نعيم فى كتابه "حلية الأولياء" [3] أن صلة بن أشيم وأصحابه مر بهم فتى يجر ثوبه ، فهمّ أصحاب صلة أن يأخذوه بألسنتهم أخذاً شديدا ، فقال صلة : دعونى أكفكم أمره. فقال : يا ابن أخى إن لى إليك حاجة ، قال: وما حاجتك ؟ قال: أحب أن ترفع إزارك . قال : نعم ، ونعمى عين ، فرفع إزاره. فقال صلة لأصحابه : هذا كان أمثل مما أردتم ، لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم. أهـ

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (ج٥ - ص٢٥٦)
(٢) سورة التوبة الآية (١٢٨)
(٣) المرجع المذكور(ج٢- ص٢٣٨)

٣ - **وعن أبي قلابة**- رضى الله عنه- أن أبا الدرداء- رضى الله عنه- مر على رجل قد أصاب ذنبا فكانوا يسبونه. فقال: " أرأيتم لو وجدتموه في قليب [١] ألم تكونوا مستخرجيه ؟قالوا: نعم. قال : فلا تسبوا أخاكم ، واحمدوا الله الذى عافاكم . قالوا: أفلا نبغضه ؟ قال: إنما أبغض عمله ، فإذا تركه فهو أخي" [٢]

هذا ويطول الكلام- أخي الداعية- مع الأمثلة الدالة على التزام الرفق في حياة الدعاة، ولكن فيما ذكرت كفاية، وسنرى مزيداً من الأمثلة في النقطة التالية، لارتباطها الوثيق بالرفق في مجال الدعوة إلى الله .

- **بين الرفق والتيسير**

إذا ملأ الله قلب الداعية بالرحمة على خلقه ، ولمس الرفق شغاف قلبه انبعث في سلوكه حب التيسير على الناس والرفق بهم.

وحب الداعية للتيسير لا يتولد من فراغ ، وإنما تدفعه إليه تعاليم الإسلام متمثلة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

ففي معرض الحديث القرآني عما يريده الله تعالى بخلقه يقول الله تعالى: " **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** " [٣]

وفي توجيه النبي ﷺ إلى الأسلوب الأمثل في التعامل مع الآخرين في مجال الدعوة وغيره يقول النبي ﷺ : " **يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا** " [٤].

---

(١) القليب: البئر التي لم تطو. هكذا في النهاية(ج٤ - ص٩٨) مادة : قلب

(٢) صفة الصفوة (ج١ - ص٦٤)

(٣) سورة البقرة(١٨٥)

(٤) أخرجه البخاري (ج١- ص٢٤) كتاب العلم-باب من كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا . وأخرجه مسلم (ج٣ - ص١٣٥٨) كتاب الجهاد والسير-باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ./ وأخرجه ابو داود (ج٢ - ص٦١١) كتاب الأدب-باب في كراهية المراء . وأخرجه احمد (ج٤ - ص٣٩٩)

يقول الإمام النووى – رضى الله عنه – فى تعليقه على هذا الحديث : " إنما جمع فى هذه الألفاظ بين الشيء وضده لأنه قد يفعلهما فى وقتين، فلو اقتصر على يسروا لصدق ذلك على من يسر مرة أو مرات وعسر فى معظم الحالات ، فإذا قال : ولاتعسروا ، انتفى التعسير فى جميع الأحوال من جميع وجوهه، وهذا هو المطلوب" (١).

ولم يكتف النبى ﷺ بالدعوة القولية المجردة ، بل ضم إليها الأسوة الطيبة ، والقدوة الحسنة فيما كان يباشره من أعمال.

فعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: " ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه " (٢)

وحين أحس النبى ﷺ بتسلل روح التشدد إلى نفوس بعض أصحابه قاوم هذا الاتجاه، وأعاد الأمور إلى ما ينبغى أن تكون عليه من التوازن والاعتدال.

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها (٣)، فقالوا : وأين نحن من النبى ﷺ ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإنى أصلى الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (ج١٢ - ص٤١)

(٢) أخرجه البخارى (ج٤- ص٦٩) كتاب الأدب . باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : يسروا ولا تعسروا، وكان يحب التخفيف والبسر على الناس . وأخرجه مسلم (ج٤ - ص١٨١٣) كتاب الفضائل- باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام . واختياره من المباح أسهله . وأخرجه أبو داود (ج٢ - ص٦٠١) كتاب الأدب - باب فى التجاوز فى الأمر . وأخرجه أحمد (ج٦ - ص١١٤).

(٣) تقالوها : أى عدوها قليلة.

فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنـي لأخـشاكم لله، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ،وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني" [1]

يقول الحافظ ابن حجر: "..... والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيـره ، والمراد : من ترك طريقتي ، وأخذ بطريقة غيري فليس مني ولمح بذلك إلى طريـق الرهبانية ، فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى" [2]

وقد أثمرت هذه التوجيهات النبوية ثمرتها في مجتمع الصحابة- الـذين هـم خير القرون بشهادة الرسول ﷺ لهم- فأضحت حياتهم مثلاً رفيعاً في التزام التيـسير واجتناب التعسير.

فعن عمرو بن إسحاق قال: " لمن أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ أكثـر ممـن سبقني منهم ، فما رأيت قوماً أيسر سيرة ، ولا أقل تشديداً منهم " [3].

فما أجمل أن يترسم الدعاة خط هؤلاء السلف الصالح، فإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ؟. والله أعلم.

هذا ؛ ولا يعني الرفق والتيسير في مجال الدعوة - كما يتـصور الـبعض - تحليل ما حرم الله ، أو التسيب والتهاون في إقامة حدود الله، فهذا أبعد ما يكون عـن مراد الإسلام من الرفق والتيسير.

---

(١) أخرجه البخاري(ج٣ص٢٣٧) كتاب النكاح-باب الترغيب في النكاح ، وأخرجه مسلم بنحـوه (ج٢ - ص١٠٢٠) كتاب النكاح- باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، وأخرجه النـسائي بنحوه (ج٢- ص٥٠) كتاب النكاح-باب النهي عن التبتل ، وأخرجه أحمد (ج٣ - ص٢٤١)

(٢) فتح الباري (ج١٩- ص١٢٦)

(٣) سنن الدارمي (ج١- ص٥١)

ولتقرأ معى – أخى الداعية–هذه النصوص القرآنية والنبوية لنقف على حقيقة المراد من هذا الأمر.

يقول الله تعالى : " **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة** " (١)

وقال تعالى: " **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** " (٢)

تأمل معى كلمة (**غلظة**) وكلمة (**ولا تأخذكم بهما رأفة**) لتتعلم أن الشدة فى موضعها لا تنافى اللين بل هى عين الحكمة ، ومقتضى الرحمة.

واسمع معى إلى هذه القصة من حياة النبى ﷺ لترى كيف كان يشتد حين يستلزم الأمر ذلك ، فى الوقت الذى وصفه ربه فى كتابه بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم.

فعن أبى مسعود رضى الله عنه قال: أتى رجل النبى ﷺ فقال : " إنى لأتأخر عن صلاة الغداة (٣) من أجل فلان مما يطيل بنا. قال : فما رأيت رسول الله ﷺ قط أشد غضبا فى موعظة منه يومئذ . قال : فقال : [**يا أيها الناس إن منكم منفرين ، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوّز** (٤) ، **فإن فيهم المريض والكبير وذا الحاجة**](٥)

فانظر – أخى الداعية – إلى ملاحظة الصحابى لرد الفعل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إزاء هذه الشكوى، حيث يقول: " **فما رأيت رسول الله ﷺ قط أشد غضباً فى موعظة منه يومئذ** " .

---

(١) سورة التوبة الآية(١٢٣)
(٢) سورة النور الآية (٢)
(٣) صلاة الغداة : صلاة الصبح
(٤) فليتجوز : فليخفف
(٥) أخرجه البخارى (ج٤ – ص٦٧)كتاب الأدب – باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله ، وأخرجه مسلم بنحوه(ج١ – ص٣٤٠) كتاب الصلاة-باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة فى تمام ، وأخرجه ابن ماجة (ج١ – ص٣١٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها-باب ما يجب على الإمام ، وأخرجه أحمد (ج٤ – ص١١٩).

ولو كان الغضب لله يتنافى مع الرفق واللين لما ساغ لرسول الله ﷺ أن يفعله. وقد ترجم الإمام البخارى لهذا الحديث فى كتاب الأدب بقوله :- " باب مايجوز من الغضب والشدة لأمر الله ".

ومن هذا يتبين لك- أخى الداعية- ما ذكرته لك من أن الرفق واللين لا يعنى التساهل والمداهنة فى حدود الله ، وإنما هو وضع الأمور فى مواضعها ، مع استخدام الوسائل كل فى موضعه.

وصدق الشاعر إذ يقول:

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا مضر ** كوضع السيف فى موضع الندى

وأورد **الإمام أبو حامد الغزالى** فى كتابه " **إحياء علوم الدين** " [1] خبراً عن سفيان أنه قال لأصحابه : " **تدرون ما الرفق ؟** " قالوا : قل يا أبا محمد. قال : " **أن تضع الأمور مواضعها ، الشدة فى موضعها، واللين فى موضعه، والسيف فى موضعه، والسوط فى موضعه** " أ. هـ

فليفقه إخواننا الدعاة هذه الأخلاق الكريمة التى جاء الإسلام لإقرارها ، وحث جميع الناس على التحلى بها ، وأولى الناس بذلك الدعاة إلى الله تعالى ، فبصلاحهم يصلح الناس ، وبهديهم يقتدون ، وفى أنوارهم يتحركون.

وتبقى - أخى الداعية- جوانب خلقية أخرى لم اشر إليها ، وأكتفى هنا بما ذكرت ، وأحيل من أراد الاستزادة من هذه الأخلاق إلى الكتاب الذى أعددته خصيصاً لهذا الغرض، وهو كتاب (**أخلاق الدعاة إلى الله تعالى.. النظرية والتطبيق**) ففيه مما ذكرت هنا الكثير ، وفيه تفاصيل أكثر وأكثر لمن رغب فى الزيادة.

---

(١) المرجع المذكور (ج٩ - ص ١٦٧٤)

المبحث الثاني

[ثقافة الدعاة وعلومهم]

ينظر الناس إلى الداعية على أنه طبيب قلوبهم ، ومداوى علتهم ، ومن ثم يفصحون له بما يستحيون من ذكره أمام خاصتهم وذويهم.

ولا يلجأ الناس لمثل هذا المسلك إلا إذا علموا بأن لدى الداعية من القدرة العلمية ، والبصيرة النافذة ، ما يسد خللهم ، ويقيل عثراتهم.

فإذا نظر الناس إلى الداعية هذه النظرة ثم وجدوه خاوياً سقط على الفور من أعينهم ، وفشلت محاولاته فى جذب الناس إلى الدعوة طالما كان على جهل بمبادئها وأصولها.

ويؤيد ذلك ماروى أن سفيان بن عيينة رضى الله عنه قال يوماً لأصحابه : من أحوج الناس إلى طلب العلم ؟

قالوا : قل يا أبا محمد. قال : ليس أحد أحوج إلى طلب العلم من العالم، لأنه ليس الجهل بأحد أقبح به من العالم [1]

لأجل ذلك وجب على من يتولى مهمة الدعوة أن يجوّد عمله ، وذلك بكثرة الاطلاع وسعة المعرفة . والإعداد الجيد لما هو بصدد الحديث عنه ، وألا يفضح نفسه بسطحية معلوماته أو ركاكة ألفاظه أو ضعف معلوماته أمام جمهور المدعوين ، الذين قد يوجد من بينهم الطبيب والمهندس والكيميائى وغيرهم من فئات المجتمع ، ولن يحظى الداعية باحترام هؤلاء أو غيرهم إلا إذا شعروا بتفوقه عليهم ، سواء فيما يعطيهم من معلومات ، أو يتصف به من أخلاق .

(١) تقريب كتاب (الفقيه والمتفقة) ص ٣٠٤ – الحافظ الخطيب البغدادى

وفيما يلى نتعرف على أهم ما ينبغى أن يهتم به الخطيب من معلومات تعينه على الإجادة والإفادة فى رسالته .

(١) القرآن الكريم والتفسير :

واهتمام الداعية بالقرآن ينبغى أن يكون فى قمة اهتماماته ، وذلك لما يتمتع به القرآن الكريم من مميزات عدة تتضح على الداعية بآثارها وفوائدها ، فترابط الأفكار ، وقوة الأدلة ، وروعة الأسلوب ، ومراعاة أحوال المخاطبين ... إلخ كلها فوائد يحصلها الداعية بحفظه لكتاب الله تعالى واهتمامه بتفسيره والإحاطة بمعانيه ومراميه.

وعليه – **فى هذا الجانب** – أن يتقن حفظه لما يتلوه من آيات . فإن اللحن فى كتاب الله تعالى يسقط الداعية من أعين مستمعيه، ولن يلتفت بعد ذلك إلى مايسوقه من فوائد .

وقد مَثَّل الداعية الذى لايحفظ القرآن ويرد منه الخطأ دائما حين يستشهد به بالرجل الذى يتحلى بثوب حسن فى الظاهر ، ولكنه لا يكتسى تحته بإزار ، فإذا لفحته الريح كشفت عورته ، وأبانت عن سوءته .

وعلى الداعية أن يتعلم – **مع حفظه للقرآن الكريم** – أحكام تلاوته ، ولايكون ذلك بمجرد الإطلاع على كتاب ، بل لابد من الإتصال بشيخ متقن لهذه الأحكام ، بحيث يتم التلقى عنه ، والتعلم على يديه .

ومع حفظ الداعية للقرآن الكريم تبقى كتب التفسير زادا له لايستغنى عنه، ينهل من معينها ، ويقطف من ثمارها ، وأفضلها فى هذا المجال تفسير ابن كثير ، فهو وسط بين الإطناب والإيجاز ، ويتمتع بحاسة النقد لما يورده من آثار ، فإذا أريد الاقتصار على أحد التفاسير فليكن هو ، وإلا فلا غنى عن الاستفادة من غيره .

ولابد للداعية كذلك أن يتعرف على المباحث المتعلقة بعلوم القرآن ، كالمكى والمدنى ، وأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ..... إلخ ، ومن الكتب المعاصرة التى أجادت فى عرض هذه الموضوعات كتاب [مناهل العرفان] لعبد العظيم الزرقانى .

(٢) السنة النبوية :

والسنة هى المنبع الثانى الذى لا يستغنى الداعية عن أن يغترف من معينه ، فإن رسول الله ﷺ هو أعلم الناس بكتاب الله تعالى ، وهو الذى قال الله فى حقه "وماينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى" [١] . وقد تحدث الأئمة عن مكانة السنة وأهميتها وضرورة العمل بها كالقرآن سواء سواء ، وليس هنا مجال التفصيل ، وإنما نستشهد بأحد أقوالهم فى هذا المجال لماله من أهمية فيما نحن بصدده .

يقول الخليفة الرشد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : " سن رسول الله ﷺ وولاة الأمور بعده سنناً ، الأخذ بها تصديق لكتاب الله ، واستعمال لطاعة الله، وقوة على الدين ، من اهتدى بها فهو مهتد ، ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً " [٢].

ومن خلال هذا القول الكريم يتضح لنا دور السنة وأهميتها فى دين الله تعالى، ومدى حاجة الداعية إلى معرفتها ، والاعتماد عليها فى شواهده وأدلته .

وقد استوعبت السنة كافة مناحى الحياة : اجتماعية واقتصادية ، وسياسية، وعسكرية، وأخلاقية .... الخ ، بحيث لم يدع النبى ﷺ خيراً إلا ودعانا إليه ، أوشراً إلا و نهانا عنه .

---

(١) سورة النجم – الآيات (٣ – ٤)
(٢) مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة – الحافظ السيوطى ص٢٤

فعلى الداعية أن يعيش مع السنة فى مصادرها ، يحفظ رواياتها ، ويدعم أدلته بأحاديثها ، وبذلك يضفى على دعوته جمالاً وجلالاً .

وعلى الداعية – فى هذا المجال – أن يتحرّى الصحة لما ينكره من أحاديث، وأن يتجنب ما حكم عليه العلماء بالضعف أو الوضع .

ويمكنه أن يعتمد فى هذا على الكتب الصحيحة كالبخاري ومسلم ، وهناك مختصرات لهذين الكتابين قامت بحذف المكرر وحذف الأسانيد تيسيراً على طلاب العلم، وأهمها : التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للزبيدى ، وهو مختصر لصحيح البخارى ، وكذلك مختصر صحيح مسلم للمنذرى .

وإذا كان الحديث فى غير البخارى ومسلم فليحرص على معرفة درجته من الصحة أو عدمها ، وذلك بالرجوع إلى الكتب المتخصصة فى هذا المجال ، وأقربها منالاً سلسلة الأحاديث الصحيحة ، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشيخ الألبانى .

وهناك كتب رتبت أبوابها موضوعياً **كرياض الصالحين للإمام النووى والترغيب والترهيب للحافظ المنذرى** [1] ، وهى تسعف الداعية فى توفير الأدلة بين يديه فيما هو بصدد الحديث عنه .. ومع المتون توجد الشروح مثل فتح البارى على صحيح البخارى وشرح النووى على صحيح مسلم ، وغير ذلك كثير مما لايستغنى عنه الداعية .

(١) فيما يتعلق بالترغيب والترهيب للمنذرى ننبه إلى أن المؤلف رحمه الله يشير إلى صحة الحديث بإسناده إلى من رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول مثلاً (عن ابن مسعود ...) أما إذا كان الحديث ضعيفا فهو يرويه بصيغة التمريض . فيقول (روى عن فلان ...) فوجب التنبيه

ولاغنى للداعية فى هذا المجال عن قراءة كتاب فى " **مصطلح الحديث** " لمعرفة المقصود بالحديث الصحيح أو الحسن ، ودرجات الأحاديث الضعيفة ، ومايقبل منها ومايرد ..... إلخ وأيسرها فى هذا المقام كتاب " **مصطلح الحديث** " للدكتور محمود الطحان .

(٢) الدراسات الفقهية :

ولاغنى للداعية عن دراسة الفقه الإسلامى بفروعه المختلفة من عبادات ومعاملات وحدود وجنايات وزواج وطلاق .... إلخ ، وذلك حتى يستطيع الإجابة عما يطرحه الناس عليه من أسئلة ، وليتمكن - فى الوقت نفسه - من تصحيح مايراه من أخطاء وفق الأحكام الشرعية .. كما أن إهتمامه بالفقه يجعله حريصاً على تعليمه للناس وتبليغه لهم ، وبذا لايكون الداعية مجرد واعظ " **فالداعية الناجح هو الذى يعظ الناس ويفقههم ، بحيث لايطغى وعظه على فقهه ، ولافقهه على وعظه** " (١)

والأولى - فى مقام الدراسات الفقهية من وجهة نظرى - أن يتقن الداعية دراسة مذهب من المذاهب الفقهية المعتمدة بحيث يعرف مسائلة وأحكامه وأدلته ، ثم ينظر فى بقية المذاهب ، فإن اقتنع بقوة دليل من أدلة تلك المذاهب لم يمنعه ذلك من العمل به وإن خالف آراء مذهبه وأدلته .

وليضم الداعية إلى دراسته فى الفقه الإسلامى أحد الكتب التى تتناول علم أصول الفقه ، بحيث يعرف أدلة الأحكام ، ويعرف مراتبها ، ومن يجوز له الإجتهاد ومن لايجوز ..... إلخ ، وأيسر الكتب فى هذا كتاب الشيخ عبد الوهاب خلاف [**علم أصول الفقه**] .

---

(١) ثقافة الداعية - دكتور / يوسف القرضاوى - ص ٧٠

(٤) السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي :

تعد السيرة النبوية هى الصورة المثلى لتطبيق الإسلام فى شخص النبى ﷺ ، فقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت للسائل : ألست تقرأ القرآن ؟ قال : بلى . قالت : فإن خلق نبى الله ﷺ كان القرآن [1] .

وسيجد الداعية فى السيرة النبوية علاجا لكافة المشكلات . وحلا لكل المعضلات ، مع التعامل مع المواقف من منطلق الأخلاق العالية التى كان يتصف بها الحبيب المصطفى ﷺ ، فيتزود الداعية بزاد وفير من خلال دراسته للسيرة بمنهج تطبيقى عملى لمن رباه الله على عينه ، وأدبه فأحسن تأديبه .

وننصح فى هذا المقام بقراءة كتاب الإمام ابن القيم " زاد المعاد فى هدى خير العباد " فهو توظيف جيد لأحداث السيرة النبوية ، يعتمد فيه المؤلف على التحليل والترجيح والنقد . وكل ذلك ممايخدم الداعية فى رسالته .

وكذلك المؤلفات التى جمع أصحابها بين السيرة كتاريخ ، وبين الدروس المستفادة منها ، والتى أطلقوا عليها " فقه السيرة " ، وأشهرها كتاب الشيخ محمد الغزالي ، وكتاب الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى .

ولا يستغنى الداعيةعن قراءة التاريخ الإسلامى ، والتعرف على الأحداث وتسلسلها ، والعبر المأخوذة منها ، وصدق من قال :

إقرأ التاريخ إذ فيه العبر ** ضلّ قوم ليس يدرون الخبر

---

(١) أخرجه مسلم (ج١ - ص ٥١٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه او مرض .

ولولا أن لدراسة التاريخ فائدة تعود على دراسه مالفت القرآن الكريم أنظارنا إلى أحوال الأمم البائدة ، ودعانا إلي النظر فيها لأخذ العبرة والعظة لحاضرنا ومستقبلنا.

وقراءة تاريخ العلماء والزهّاد والمصلحين فى كل مجال ، وأخذ العبرة والعظة من كلماتهم ومواقفهم من الأشياء الهامة لمن يتصدرون للدعوة إلي الله تعالي .

وننصح فى هذا المقام بقراءة كتب الطبقات ، كالطبقات الكبرى لابن سعد، وكذلك كتاب " **حلية الأولياء** " لأبى نعيم ، أو المختصر له " **صفة الصفوة** " لأبى الفرج ابن الجوزى .

(٥) الثقافة اللغوية والأدبية :

إذا كانت حاجة الداعية إلى المعانى الجيدة ليفيد بها جمهوره أمراً لا غنى عنه، فإن حاجته للألفاظ التى تكسو هذه المعانى بهاء وجمالاً لا تقل أهمية.

وعلى ذلك ينبغى على الداعية أن ينتقى ألفاظه ، ويجود أسلوبه ويهذب عباراته، ولايتأتى ذلك إلا بكثرة المطالعة فى كتب الأدب "**شعراً ونثراً**" بحيث ينتقى منها أجودها ، وأن يسوقها فى موضوعها ، فتطرب لذلك الأسماع ، وتتأثر بذلك القلوب .

ويمكن للداعية أن يقرأ كتابا يفيده فى هذا مثل : أدب الدنيا والدين للماوردى ، أو روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستى ، فإذا أراد المطولات فليرجع إلى كتاب كالعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى ، أوالبيان والتبيين للجاحظ .

كما أن عليه أن يتجنب اللحن والخطأ فى عباراته ، بحيث تبدو كلماته منضبطة وفق قواعد اللغة العربية (**نحوها وصرفها**)

ومن أقوال العلماء فى ذلك : " **اللحن كالتفتيق فى الثوب ، والجدرى في الوجه** " .

ومما يساعد الداعية على ذلك أن يتعلم قواعد اللغة العربية من أى كتاب كان ، ثم يركز على التطبيق العملى ، بحيث يعرب كل كلمة يقولها ، ويضبطها وفق القواعد التى تعلمها ، ولا بأس من الاستعانة فى هذا المقام بمن سبقه إلى تقويم لسانه ليتدرب على يديه ، حتى يستقيم لسانه ، وتصبح العربية عنده ملكة وطبيعة بإذن الله .

(٦) علوم أخـــرى :

١ - لاغنى للداعية- **فوق ما سبق ذكره**- أن يدرس العقيدة وأصولها ونواقضها ، وليكن معتمده فى ذلك منهج القرآن الكريم فى تلك الدراسة ، والذى يعتمد على تعريف الناس بخالقهم من خلال أسمائه وآياته فى الأنفس والأكوان، وليبتعد عن الخوض فى مسائل علم الكلام ، فهى لا تجدد إيماناً، ولا تزيد يقيناً.

كما يحتاج الداعية إلى معرفة عقائد الآخرين- **ولو على سبيل الإجمال**- ليبرز جمال الإسلام ويدفع الشبه التى تثار ضده، وحتى يتمكن من المقارنة فى أى موضوع يتناوله على وجه ينتصر فيه للحق . وفق القواعد العلمية والمنهجية.

٢ - ومن المجالات الهامة التى ينبغى على الداعية أن يتعرف عليها كذلك النظم الإسلامية ، **كالنظام الاجتماعى والنظام السياسي والنظام الاقتصادى**....الخ، والمقارنة بين هذه النظم وبين النظم الوضعية بشكل يبرز جمال الإسلام ومحاسنه، وتميزه عن سائر النظم المعاصرة ، ويقرأ فى هذا المجال كتاب (النظم الإسلامية) للدكتور / صبحى الصالح.

ومع النظم الإسلامية تأتى كتب الأخلاق والسلوك، ومن أهمها **إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى** ، على أن يستأنس بتخريج أحاديثه للحافظ العراقى ، أو يقرأ مختصراته كمختصر منهاج القاصدين للحافظ المقدسى ، أو يقرأ كتاب " السلوك الاجتماعى فى الإسلام " للشيخ حسن أيوب ، أو كتاب (خلق المسلم) للشيخ محمد الغزالى.

٣ - ولاغنى للداعية - كذلك - عن معرفة الأفكار والتيارات المعاصرة كالشيوعية والوجودية والرأسمالية وغيرها ، وأن يقرأ الواقع الذى يعيشه بسلبياته وإيجابياته ، وما يعانيه المسلمون فى العالم اليوم من مشكلات ، بحيث لايكون بعيداً عن هذه الأحداث ، وان ينفعل بها ويتفاعل معها . مثال ذلك قضية فلسطين ومايحدث بشأنها ، ومايجرى على أرضها ، وكذلك سائر القضايا الإسلامية الساخنة على الساحة .

والخلاصة أن سعة المعرفة وتعدد أوجه الثقافة ضرورة لا يستغنى عنها الداعية ، ولا يتوقع نجاحه بدونها .

ومن ثمَّ يلزم الداعية أن تكون لديه مكتبة عامرة بالكتب الإسلامية فى شتى الفنون ، وأن يقضى بين تلك الكتب أوقاتا كثيرة يقرأ فيها ويحفظ منها، ويفيد من ذلك عشَّاق المعرفة وطلاب الحقيقة الذين هم أمانة فى عنقه ، وسيجزيه الله تعالى خيراً على ما بذل من جهد لإفادتهم وتوجيههم .

الفصل الثالث

[المدعوون وما يجب مراعاته أثناء دعوتهم]

* ويشتمل على المباحث التالية :-

(١) مراعاة أحوال المدعوين

(٢) أصناف المدعويـــن

المبحث الأول

مراعاة أحوال المدعويـــــــن

يتعامل الداعية مع جمهور عريض من الناس ، وهؤلاء يختلفون فى ثقافتهم ومدى إقبالهم على الموعظة ، والوقت الذى تسمح به ظروفهم دون أن يشغلوا عنها بشئ آخر.

وعلى الداعية أن يراعى هذا كله ، حرصا على التأثير وتحقيق الفائدة المرجوة.

فمن حيث اختيار ما يناسب كل قوم ورد عن **أمير المؤمنين على بن أبى طالب** رضى الله عنه قوله : " حدثوا الناس بما يعرفون ، اتحبون أن يكذب الله ورسوله " (١)

وعن وهب بن منبه قال: " ينبغى للعالم أن يكون بمنزلة الطباخ الحاذق ، يعمل لكل قوم ما يشتهون من الطعام، وكذلك ينبغى للعالم أن يحدث كل قوم بما تحتمله قلوبهم وعقولهم من العلم " (٢)

ويستأنس لهذا بما فعله الإمام البخارى- رضى الله عنه - فى صحيحه ، حيث ترجم لأحد أبواب كتاب العلم بقوله : " باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا ".

ومن حيث اختيار أوقات النشاط والحضور لدى المدعوين ورد عن الصحابى الجليل **عبد الله بن مسعود** رضى الله عنه قوله : " إن للقلوب شهوة وإقبالاً ، وإن للقلوب فترة وإدبارا ، فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها ، ودعوها عند فترتها وإدبارهـا " (٣)

---

(١) اخرجه البخارى(ج١- ص٤٦) كتاب العلم -باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا.
(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع(ج٢- ص١١٠) الحافظ الخطيب البغدادى.
(٣) صفة الصفوة(ج١- ص٤١٦) ابن الجوزى.

ومن حيث الوقت الذى يقدم فيه الداعية موعظته- بحيث يضمن عدم شرود الناس منه- ينبغى أن يراعى ألا يكون طويلاً مملاً ، أو قصيراً مخلاً ، بل يراعى التوسط والاقتصاد.

يقول الجاحظ: " قليل الموعظة مع نشاط الموعوظ ،خير من كثير وافق من الأسماع نبوة ، ومن القلوب ملالة " (١)

ويقول الإمام الزهرى : " إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب " (٢)

كذلك يجب مراعاة حال المدعو الاجتماعية ، ومراعاة مكانته بين قومه ، حتى يستطيع الداعية أن يصل إلى قلبه ، وليكن قدوته فى ذلك رسول الله ﷺ الذى روت عن السيدة عائشة قولها : أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم (٣)

ولما كان جهد الداعية منصباً على من يدعوهم ، وقد يكون فيهم المسلم وغير المسلم ، وفيهم الرجال والنساء ، وفيهم الشباب والشيوخ...الخ ، لذا ناسب أن يتعرف الداعية على هذه الأصناف ، وما يميز كل صنف منهم ، وهو ما سنلقى عليه الضوء فى النقطة التالية بإذن الله تعالى.

(١ ، ٢)الجامع لأخلاق الراوى ، وآداب السامع(ج٢- ص١٢٨)

(٣) ذكره مسلم فى المقدمة(ج١- ص٦)

المبحث الثاني

أصناف المدعويـــــــن

سبقت الإشارة إلى أن الداعية يتعامل مع جمهور عريض من الناس ، وأن عليه- كى تنجح دعوته- أن يخاطب كل قوم على قدر عقولهم ، وأن يعتبر نفسه - فى هذا المجال- كالطبيب الذى يعالج أنواعاً شتى من الأمراض ، فهو يصف لكل مريض ما يناسبه من الدواء ، ولا يكفى فى هذا المجال أن يحصل الداعية من الشهادات أرقاها، ومن العلوم أسماها، بل لابد أن يعرف كيف يوظف هذه العلوم توظيفا صحيحاً مع من يدعوهم.

" إن الداعية لا ينجح فى دعوته ، ولا يكون موفقاً فى تبليغه حتى يعرف من يدعوهم ، وكيف يدعوهم ، وماذا يقدم معهم وماذا يؤخر ، وما القضايا التى يعطيها اهمية واولوية قبل غيرها ، وما الأفكار الضرورية التى يطرحها ويبدأ بها، وهذه الطريقة فى الدعوة هى طريقة الرسول ﷺ ، وطريقة الذين اتبعوه بإحسان ، وقد بعث النبى ﷺ معاذاً إلى اليمن وقال له : " إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ماتدعوهم اليه شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله...الخ " [1] [2]

وانطلاقاً من هذا تختلف طريقة الداعية مع من يوجه إليهم دعوته.

فإذا كان يدعو مسلمين ملتزمين بمبادئ الإسلام وقيمة فليغرس فيهم الثبات على المبدأ ، ويحببهم فى التسابق إلى الخيرات ، ويذكرهم بفضائل الأعمال فى كافة المجالات حتى تزداد رغبتهم فى العمل بها والحرص عليها ، وإذا وجد فى هذا الصنف من تحمله حماسته - أحياناً- على الشطط والغلو ، فليعمل الداعية على ردهم إلى الوسطية وترك الغلو والإفراط.

---

(١) الحديث سبق تخريجه

(٢) سلسلة مدرسة الدعاة (ج١ - ص٣٤٤) بتصرف يسير - عبدالله ناصح علوان

وإذا استطاع الداعية أن يستثمر تدين هذه الفئة ، ويقيم مع إخوانه الدعاة العلماء دراسة أكاديمية لهؤلاء تلبى حاجتهم من العلم الشرعى بكافة فروعه- أو معظمها- يكون هذا إنجازاً عظيما يحقق أعظم الفائدة لهذه الفئة ، ويعدها لأن تكون فى صفوف الدعاة إلى الله تعالى على بصيرة.

وإذا كان الداعية يؤدى واجبه وسط مسلمين عصاة ، فليركز على بيان أثر المعصية السيئ على صاحبها فى الدنيا والآخرة ، ويسوق من الأدلة والشواهد ما ينفر منها ، ولا يقتصر على الأدلة الشرعية بل يسوق من كلام علماء الاجتماع والصحة وغيرهم ما يدعم به تنفير هؤلاء من الإقامة على المعصية .

فى الوقت نفسه يحرص الداعية على ترغيب هؤلاء الناس فى التوبة إلى الله تعالى ، ويؤكد لهم على أن معاصيهم مهما كثرت لا تحول دون قبول الله تعالى لتوبتهم. فهو سبحانه يغفر الذنوب جميعا.

وإذا كانت الدعوة وسط شباب فليستثمر حماستهم بأنشطة دعوية كمسابقات أو قراءات أو أعمال اجتماعية نافعة ، ليملأ فراغهم ويستثمر جهودهم ، وليكن فى جهد الداعية مع الشباب ما ينمى فيهم روح التدين وحب الإسلام حتى ينشأوا - منذ نعومة أظفارهم - على طاعة الله تعالى ، ويسوق لهم أمثلة على الشباب الصالح أمثال : **مصعب بن عمير** و **معاذ بن جبل** ، **وعبد الله بن عباس**، **ومحمد بن القاسم** ، **ومحمد الفاتح**...الخ. فإن النفس تأنس بالنظائر، ومن تشبه بقوم فهو منهم.

وإذا كانت الدعوة موجهة إلى نساء فليوضح الداعية لهن مكانة المرأة فى الإسلام ، ويبين لهن التحديات التى يتزعمها أعداء الإسلام مستغلين العنصر النسائى ، ويضرب الأمثلة ، ويسوق النماذج لنساء صالحات فى شتى المجالات ، ويقوم بالرد على الشبهات التى يثيرها البعض مدعيا أن الإسلام ظلم المرأة وهضمها حقوقها.

فإذا كانت الدعوة لغير مسلمين فلتكن الركيزة الأساسية هى الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى ، واستخدام الإعجاز العلمى فى الكون والإنسان يمثل جانباً هاماً فى دعوة هؤلاء ، فلغة العلم هى لغة العصر التى لا يجادل فيها أحد ، فإذا أتقن الداعية جوانب الإعجاز العلمى ، واستثمره فى التدليل على وجود الخالق ووحدانيته لحقق سبقاً فى هذا المجال .

ويلزم الداعية فى هذا المجال أن يتعرف على عقائد من يدعوهم وأوجه القصور فيها ، حتى يستطيع مخاطبة هؤلاء بلغتهم ، وكذلك يتعرف على شبهاتهم التى يثيرونها ضد الإسلام ، ويتسلح بالرد المناسب عليها إذا ما ووجه بها.

ولا نغفل- فى هذا المجال- أهمية تعلم اللغات الأجنبية، والتى تمكّن الداعية من تبليغ رسالته لغير الناطقين بالعربية ، وألا يكتفى فى هذا المجال بالترجمة التى لا تفى بالغرض فى أغلب الأحيان ، وقد يترتب عليها تغيير للمعنى بقصد أو بغير قصد ، مما يفوت غرض الداعية من الإصلاح.

ونستخلص من هذا كله أن ميدان الدعوة فسيح ، وأن الداعية الصادق هو من لايدخر وسعاً فى دعوة الناس إلى الله تعالى ، على اختلاف أصنافهم وتوجهاتهم ، ولو كان ذلك على حساب نفسه.

يقول الأستاذ فتحى يكن : " إن الداعية بحق هو الذى يعيش لسواه لا لنفسه ، ويكون ديدنه الدوران حول مجتمعه وحول المسلمين وليس حول ذاته، وهو الذى يعمل على توفير الراحة للآخرين ولو على حساب راحته .. فإذا قامت هذه الوشائج بين الداعية وبين الناس تحقق الوصال والاتصال ، وتحقق التأثر والأثر، ونجحت المهمة ، وأتت الدعوة أكلها بإذن ربها، وإن كان غير ذلك لم تكن دعوة ولا داعية"[1]

(١) الاستيعاب فى حياة الدعوة والداعية (ص٦٤)

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز للجوانب المتعلقة بالدعوة والدعاة أرجو أن أكون قد وفقت في فتح الباب أمام طالبي الدعوة ، ليعرفوا واجباتهم ، ويحددوا مسئولياتهم .

وقد تناولت الموضوعات على هيئة رؤوس أقلام ، تاركاً التفاصيل لكتب أخرى توفرت على تناول كل موضوع منها بإسهاب وتوسع . فمن أراد الاقتصار على كتاب موجز في الدعوة ففي هذا البحث مايحقق غايته ، وإن أراد التوسع فالمجال أمامه مفتوح ، والكتب المؤلفة في الدعوة كثيرة لاحصر لها .

ولايسعني في نهاية هذا البحث إلا أن أرفع أكف الضراعة إلى الله تعالى ألا يحرمنا شرف الانتساب إلى الدعاة إليه على بينة وبصيرة ، وأن يجزي عنا أساتذتنا ووالدينا خير مايجزي به عباده الصالحين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المؤلف

أ.د / طلعت محمد عفيفي سالم

عميد كلية الدعوة الإسلامية

بالقاهرة

جامعة الأزهر

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
المقدمـــــة	٢
الفصل الأول : الدعوة ومايتعلق بها من مسائل وأحكام	٤
◈ **المبحث الأول** : تعريف الدعوة	٥
◈ **المبحث الثانى** : الدعوة بين الوجوب والندب	٧
◈ **المبحث الثالث** : من المكلف بالدعوة ؟	١١
◈ **المبحث الرابع** : أهداف الدعوة وأهميتها	١٣
◈ **المبحث الخامس** : فضل القيام بالدعوة	١٦
◈ **المبحث السادس** : العلاقة بين الدعوة والحسبة	١٩
◈ **المبحث السابع** : وسائل وأساليب الدعوة	٢١
◈ **المبحث الثامن** : عوامل نجاح الدعوة	٢٣
الفصل الثانى : الداعية ومايجب أن يكون عليه	٣٧
◈ **المبحث الأول** : أخلاق الدعاة وصفاتهم	٣٨
◈ **المبحث الثانى** : ثقافة الدعاة وعلمهم	٨٦
الفصل الثالث : المدعوون ومايجب مراعاته أثناء دعوتهم	٩٦
◈ **المبحث الأول** : مراعاة أحوال المدعوين	٩٧
◈ **المبحث الثانى** : أصناف المدعوين	٩٩
الخاتمـــــة	١٠٢
فهرس الموضوعات	١٠٤

وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب،